



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -



كلية الأدب العربي والفنون  
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة .

بعنوان:

اللسانيات الوظيفية في المنظور اللساني العربي

تخصّص: لسانيات عربية .

إشراف الأستاذة الدكتورة:

❖ مداني ليلي

إعداد الطالبة:

❖ غواط عاشورة

الأستاذة الدكتورة مداني ليلي  
قسم الدراسات اللغوية  
جامعة مستغانم

السنة الجامعية 2023 / 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وتقدير

سيرا على نهج خير الأنام و المرسلين سيد الخلق أجمعين الذي أوصانا بعرفان

الجميل فقال:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان و التقدير لأستاذتي الفاضلة الدكتورة "مداني ليلي"

على حسن تأطيرها ونصحها و إشرافها و مساعدتها على إتمام هذا العمل .

# إهداء

بداية أمجد الله العلي القدير على توفيقه لي و بتسهيل منه أنهيت مسيرتي الدراسية

بعد سنين من الجد و التعب.

أهدي تخرجي ونجاحي إلى كل روح شاركتني بدعائها.

إلى من أوصانا الله تعالى بهما خيرا:

إلى من علمتني أن الحب ليس له عمر، و أن العطاء ليس له حدود: أمي الغالية .

إلى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي : وإلى أبي الغالي اطل الله في عمره.

إلى إخوتي .

إلى رفيقتي هيبه.

إلى كل من كان لي عوناً و سندا في مسيرتي .



بسم الله مسبب الأسباب وخالق الأسماء واللغات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين  
صلى الله عليه وسلم أما بعد:

عرف الدرس اللساني العربي تطوراً كبيراً منذ اتصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة في العالم الغربي، إذ نشطت عملية التأليف في هذا العلم الحديث قصد التعريف به وبمختلف مدارسه ومناهجه، ثم انتقل هذا النشاط من مجرد التعريف بهذا العلم وترجمة المؤلفات الغربية التي أسست له إلى النظر في اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات، سعياً لجعل البحث في هذه اللغة يتسم بالعلمية. خطا البحث اللساني العربي خطوات مهمة في خضم التحولات التي عرفتها الثقافة العربية الحديثة، وتبني الدراسات اللغوية العربية للنظريات اللسانية، قصد تطويع نماذجها لقواعد اللغة العربية. وقد تفرق البحث اللساني العربي في طرحة للقضايا اللسانية، بين ما تُقدّمه اللسانيات الحديثة من فرضيات نظرية، ومنهجية لتحليل اللغة الطبيعية ومعالجتها، في مساهمة للاتجاهات اللسانية الغربية، وبين التمسك أو التثبيت بالتراث اللغوي العربي الأصيل. ووفق هذا المنحى، كان السعي إلى البحث في التراث اللغوي العربي من خلال الموروث اللغوي، الذي خلفه ثلة من علماء العربية القدامى - خاصة ما تعلق منه بالنحو حيث حاولت الجهود العربية الوصول إلى وضع نظرية جديدة للنحو العربي، تُسأير اللغة العربية في شكلها الحديث، وتسعى إلى تيسيره، فبرز في هذا المجال عدة اتجاهات تأثرت في عمومها بالنظريات اللسانية الغربية، إذ صنفّت هذه الجهود في تيارات تنظر إلى اللغة العربية وفق المبادئ التي بنيت عليها تلك المدارس الغربية.

ومن أهم هذه الاتجاهات الاتجاه الوظيفي، الذي تبرز فيه أعمال أحمد المتوكل، وهو الذي أخذ على عاتقه نقل النظرية الوظيفية إلى الثقافة العربية، وحاول إعادة بناء النحو العربي وفق هذا الاتجاه.

إن البحث في مجال مراجعة الحصيلة اللسانية العربية الحديثة مجال خصب استهوى الكثير من الدارسين في السنوات الأخيرة، ولعل هذا كان من أجل وقفة تقييمية فاحصة لما أنتج في حقل الدراسات اللغوية العربية، والاستفادة منها للرقى بالكتابة اللسانية العربية الحديثة.

ومن هذا المنطلق نروم من خلال هذا البحث أن نطأ حقل الكتابة اللسانية العربية الحديثة وما أنجز في رصد الحركة اللسانية العربية الحديثة من بوابة منتج الدرس اللساني الوظيفي لأحمد المتوكل،

والنظر في علاقته باللسانيات الحديثة من جهة وعلاقته بالرصيد اللغوي في التراث العربي من جهة أخرى .

وفي هذا السياق يندرج موضوع بحثنا الذي وسمناه ب: اللسانيات الوظيفية في لسان العرب و من هنا نطرح الإشكالية التالية : هل يمكن تحليل معجم لغوي قديم مثل "لسان العرب" وفقاً لمفاهيم اللسانيات الوظيفية الحديثة، وكيف يمكن تجاوز الفجوة الزمنية والمنهجية بين السياقين؟ .هذا الطرح يقود إلى سلسلة من التساؤلات الفرعية: كيف يمكن للمعجم الذي يركز على جمع المفردات وتوضيح معانيها أن يُستخدم لدراسة اللغة من منظور وظائفها في التواصل الاجتماعي؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار الشواهد الشعرية والأدبية التي وردت في "لسان العرب" صالحة لتحليل الاستخدامات الوظيفية للغة في مواقف حياتية متنوعة؟ و هل يحتاج الباحث إلى تعديل أو تطوير المنهجية الحديثة لتتلاءم مع النصوص التراثية، أم أن هناك حدوداً تمنع إمكانية تحقيق هذا الربط بشكل مثالي؟

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في توسيع فهمنا للغة العربية و الجمع بين التراث والمعاصرة وكذا إبراز القيمة الوظيفية للمعاجم التراثية و تحفيز الدراسات اللغوية المقارنة ، كما أن لهذا البحث اهداف عديدة تتمثل في تحليل اللغة العربية من منظور وظيفي والجمع بين النظرية الحديثة والتراث و فهم السياق الاجتماعي اللغوي في التراث العربي و تطوير منهجيات تحليلية جديدة .

ولمعالجة الإشكالية المطروحة اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الجانب النظري وذلك لغرض ما هو متوفر من معلومات حول "لسان العرب و لفهم السياق الزمني الذي تم فيه جمع "لسان العرب"، وتحليل تطور المعاني والمفردات عبر الزمن تم استخدام المنهج التاريخي و ربط الشواهد اللغوية بوظائفها الاجتماعية والتواصلية في الفترات الزمنية المختلفة. متبعين في ذلك خطة بحث تمثلت في : مقدمة تمهيدية للموضوع ومدخل تطرقنا فيه إلى مفهوم اللسانيات واللسانيات العربية وتطورها .وفصلين الاول نظري بعنوان اللسانيات الوظيفية والنظريات وقد تطرقنا فيه إلى مبحثين ؛ حيث أن المبحث الأول عبارة عن دراسة لللسانيات الوظيفية وتصنيف اللسانيات إلى وظيفية وغير وظيفية وكذلك المبادئ المنهجية لها ونشأة التيار اللساني الوظيفي وتطوره . أما المبحث الثاني فهو دراسة النظريات اللسانية الوظيفية .أما الفصل الثاني والمعنون ب اللسانيات الوظيفية في منظور اللسان العربي وهو الآخر جاء في مبحثين الاول هو اللسانيات العربية والثاني بعنوان النحو الوظيفي

واللغة العربية وفيه تحدثنا عن أهمية الوظيفة التواصلية في دراسة بنية اللغة والنحو الوظيفي .ثم خاتمة تضمنت اهم النتائج المتواصل إليها من خلال هذه الدراسة واخيرا قائمة المصادر والمراجع .

أما عن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع فقد جاءت كمحاولة منا لسد الفجوة بين الماضي والحاضر من خلال توظيف مفاهيم لغوية حديثة في تحليل نصوص تراثية. وإبراز القيمة الوظيفية للمعاجم التراثية: كثيراً ما تُدرس المعاجم التراثية كمجرد مصادر لحفظ المفردات ومعانيها، لكن هذا البحث يسعى إلى إبراز دورها الوظيفي في تقديم صورة شاملة لكيفية استخدام اللغة في الحياة اليومية والتفاعل الاجتماعي، مما يمنح هذه المعاجم قيمة إضافية تتجاوز وظيفتها التقليدية وإثراء الدراسات اللغوية العربية وكذلك فهم أعمق للغة العربية.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع منها :

اللسانيات النشأة والتطور لأحمد ومن

اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة. لنعمان بوقرة .

كما أننا لا ننكر وجود دراسات سابقة في هذا الموضوع منها :

هدى بن عزيزة : علاقة البنية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي. مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2007م /2008 م .

وختاماً نرجو أن نكون بهذه المذكرة قد أحطنا بجوانب الموضوع، وأملنا في استيفاء هذا العمل حقه، وحسبنا أننا بذلنا جهداً ولم ندخر وقتاً في سبيل الارتقاء بهذا البحث إلى المستوى المطلوب، ونتمنى أن تكون هذه الدراسة لبنة تضاف في حقل الدراسات اللسانية والمعجمية .وعسى أن نكون قد مهدنا للباحثين الدخول والمشاركة في مثل هذه المواضيع مستقبلاً لفتح المجال واسعا للبحث والنقاش فإن بلغنا الهدف فذلك المرتجى، وإن خاب مسعانا فعزأونا أننا لم نقصر في الإخلاص للعمل.

والله من وراء القصد، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.





مدخل

إن اللسانيات علم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزه عما سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية والمنهج والمفاهيم والاصطلاحات. بيد أن ما تقتضيه الضرورة العلمية هو أنه لابد لكل علم من موضوع يعد مادته التي تخضع لإجراءاته التطبيقية، ومن البديهي كما هو شائع في التطور العلمي للفكر الإنساني أن يحدد العلم موضوعه تحديدا دقيقا وقد استقطبت اللغة المفكرين منذ أمد بعيد لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرة والاجتماعية ومررت هذه الدراسات عبر ثلاثة مراحل بداية المرحلة النحو التقليدي ثم مرحلة الفنولوجيا مرورا بمرحلة الفيلولوجيا المقارنة إلى ظهور اللسانيات في القرن العشرين على يد العالم السويسري دي سوسير " « Ferdinand de saussure (1857 - 1913) الذي أسسها وحدد مناهجها وأهدافها، ويمثل علم اللسان نقطة التحول في تاريخ الدراسات اللغوية على مد العصور. وكان تحديد دي سوسير لعلم اللسان الحديث بأنه "دراسة اللسان البشري في ذاته ولذاته تحديدا واضحا لموضوع اللسانيات.

#### 1- مفهوم اللسانيات.

اللسانيات هي المصطلح العربي المقابل للمصطلح الفرنسي *linguistique* المشتقة من لفظ اللسان؛ الذي يقصد به اللغة: النظام التقديري الاتصالي بين المجموعات والأفراد، كما يقصد به أيضا نسق الإشارات في جماعة إنسانية معينة، كما أن اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة التي يتكلم بها الإنسان، كما يدرس أيضا مدلول معنى المجموعات الناطقة، فهي تهتم باللغة كوسيلة للتعبير، كي تشرع ميكانزوماتها وطريقة اتصال الناس ببعضها.

ويرى بعض الباحثين أن اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية لسان البشري، أي دراسة تلك الظواهر العامة والمشاركة بين بني البشر، والجدير بالاهتمام والدراسة، بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تعد من صلب اهتمام اللسانيين، تختص بجوانب ثانوية لسان بحكمه ظاهرة معقدة ومركبة ويمكن أن تتناول من زوايا عديدة اجتماعية نفسية فيزيولوجية وفيزيائية تتكفل بها علوم أخرى مثل: علم الاجتماع، علم النفس وعلم فيزيولوجية الأعضاء وعلم الصوت الفيزيائي.<sup>1</sup>

وهناك من عرفها بأنها الدراسة العلمية الموضوعية لسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم ... " ويتجلى لنا من خلال هذا التعريف أن اللسانيات تتميز بصفتين أساسيتين هما:

<sup>1</sup> خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات. دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص 9.

- العلمية: نسبة إلى العلم، وهو بوجه عام إدراك الشيء كما هو عليه في الواقع، وبوجه خاص إتباع الطرق والوسائل العلمية أثناء الدراسة والبحث كالملاحظة والاستقراء والوصف والتجربة....)

- الموضوعية: هي كلمة مشتقة من الموضوع، ويقصد بها كل ما يوجد في العالم الخارجي مقابل العالم الداخلي أو هي بتعبير آخر التجرد من الأهواء والميولات الشخصية.<sup>1</sup>

كما نجد أن أحمد حساني قد أورد مفهوم للدراسة العلمية التي يرى معظم الباحثين بأنها السمة الأولى للسانيات فيقول في كتابه "مباحث اللسانيات": "تعني بدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي ونعتمد على المقاييس التالية:

. ملاحظة الظاهرة والتجريب وللاستقراء المستمر .

. الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.

. استعمال النماذج والعلائق الرياضية للأنساق اللسانية مع الموضوعية المطلقة".<sup>2</sup>

واللسانيات هي: "الدراسة العلمية التي تتناول، وبناءً على هذا فالناس كلهم مشتركون في اللسان، وفي القدرة على الكلام، اللهم من أصيب بعاهة حرمت الاتصال بغيره عن طريق التخاطب".<sup>3</sup>

### - النشأة والتطور

من أبرز التطورات التي شاهدها العالم مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ظهور علم يحتاج لدراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومراقبة الواقع اللغوي، ومعاينته بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، عرف باسم اللسانيات (linguistique) هو العلم الذي ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة طبيعية يمكن أن تخضع لما تخضع له الظواهر الطبيعية الأخرى، من اختبار علمي ينتهي إلى قوانين ثابتة واللسانيات عند أندري مارتييني andré martinet وجون لينز gohin lyons هي:

<sup>1</sup> أحمد قدور: مبادئ في السانيات دار الفكر، دمشق، د.ط، 1999م، ص: 11.

<sup>2</sup> أحمد حسني: مباحث اللسانيات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، ص: 15.

<sup>3</sup> التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان دار الوعي الجزائر، د.ط، 2008م، ص: 24.

الدرس العلمي للغة الإنسانية وقد تعددت المصطلحات الدالة على ذلك العلم حتى بلغت ثلاثة وعشرون مصطلح منها علم اللغة علم اللسان اللغويات علم اللغويات الحديثة علم اللغة العام، علم اللغة الحديث، الألسنية، الألسنيات، لسانيات، وعُرف في لبنان وتونس والمغرب بالألسنية، وعرف في الجزائر باللسانيات واللسنيات.<sup>1</sup>

لقد شهدت علوم اللغة عندنا منذ أربعين سنة حركات نهوض و تجديد بعد عقود من بعث التراث و تحقيقه وتقديمه للناس، إذ عرفت دراسات اللسانيات في الغرب توسعاً ونضجاً حتى صارت محط أنظار الدارسين في مجالات أخرى، ويرى بعض المؤرخين أن نشأة اللسانيات بدأت في القرن الثامن عشر مع "وليام جونز" الذي لاحظ شبهاً قوياً بين اللغة الإنجليزية من جهة و اللغات الآسيوية و الأوروبية من جهة أخرى بما في ذلك اللغة السنسكريتية sanskrit وهو ما دعاه إلى استنتاج وجود صلة تاريخية، و أصل مشترك بينهما، وفي بداية القرن العشرين، أخذ هذا البحث اللغوي طابع علمي على يد اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير ( 1857-1913) والذي لقب بأبي اللسانيات الحديثة، فقدم للفصل الذي خصصه للدراسات التزامنية في آخر حياته أثر جذري في اللسانيات الحديثة، وواكب توجيه دي سوسير اهتمام اللغويين إلى أهمية المنهج في دراسة اللغة، وقد وجه نعوم ، وأتباعه نقداً حاداً إلى المدرسة السلوكية ذاهباً إلى القول بأنه مهما توسعنا في جمع المادة تشومسكي noam chomsky ، اللغوية فليس بإمكاننا أن نعرض لكل تركيب لغوي لأن المتكلمين قادرين على تأليف تركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل استعمل مصطلح اللسانيات linguistique أول مرة في المناطق الناطقة بالألمانية، ثم انتقل الدراسات اللغوية الفرنسية حوالي 1826م، ومنها بريطانيا ابتداءً من 1855م، إن مصطلح علم اللغة قديم في التفكير اللغوي ولكن دلالة مختلفة عما يشير إليه حديثاً، ذلك بأنه كان يعبر عن جمع الألفاظ اللغوية وتبويبها في معاجم خاصة وقريب منه مصطلح فقه اللغة الذي استعمل أول مرة في كتابين مهمين هما: الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامه لابن فارس (395هـ)، والثاني كتاب فقه اللغة وأسرار العربية لابن منصور الثعالبي (ت.430هـ) والظاهر من المادة المعروضة في هذين الكتابين و سائر الكتب التي تصدت بالبحث في أسرار الكلام العربي، إن مصطلح فقه اللغة مصطلح غير ثابت أو واضح من حيث الدلالة على تخصص علمي معين بل

<sup>1</sup> عبد المقصود محمد عبد المقصود: دراسة البنية الصرفي في ضوء اللسانيات والوصفية دار العربية للموسوعات القاهرة، ط1، 2006، ص: 20، 19.

هو مجال تفكير في قضايا اللغة في جميع تمظهراتها الصوتية و الصرفية و التركيبية و الأسلوبية التداولية، بل قل ما يثير هذا المصطلح في الفكر اللساني العربي أي نزعة منهجية مثل التي يثيرها مصطلح اللسانيات، أو علم اللسانيات الحديث إلا أن الدرس اللغوي العربي الحديث و بتأثير من اللسانيات الغربية كان قد وجّه مبكراً هذه المصطلحات للدلالة على مفاهيم معينة و تخصصات لغوية بينة فمن ذلك اتصال مصطلح فقه اللغة بالفيلولوجيا الغربية.<sup>1</sup>

ترجع بداية ظهور اللسانيات كعلم مستقل إلى القرن التاسع عشر ميلادي أثناء محاضرات دي سوسير وأسهمت فيها ثلاثة أسباب:

. اكتشاف اللغة السنسكريتية: وقد تم ذلك بوضوح مع وليام جونز، الذي كان قاضياً في كار كوتا (في آسيا) مع شليجل في كتابه حول لغة الهنود وحكمتهم عام 1808م، ثم الأب بارثيملي وكان مبشراً في الهند في كتابه "قواعد السنسكريتية" ثم توالى المؤلفات في إنجلترا بعد ذلك، إلا أن صارت باريس قطب المدرسة السنسكريتية بهجرة اللسانيين إليها.

. ظهور القواعد المقارنة: شاع في تلك الفترة أسلوب المقارنة بين اللغات ونظمها ومنها كتاب boopp عام 1816م.

(في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية واللاتينية الجارمنية).

. نشأت العلم التاريخي: (الذي يعنى بجميع التطورات اللغوية في لغة ما من خلال مجموع تاريخها وقد ظهر نتيجة للقواعد المقارنة).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة. جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009، ص: 7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 8.

## - مصطلح اللسانيات الوظيفية

مصطلح اللسانيات الوظيفية مصطلح مركب تركيبياً وصفيًا من مصطلحين اثنين هما: اللسانيات والوظيفية (الوظيفة ألحقت بها ياء النسب)، ولكي يتضح لنا مدلول المصطلح المركب علينا بيان مدلول كل مصطلح على حده.

ونشير في هذا الموضوع إلى أننا لن نتعمق في دلالة المصطلحين، لغة واصطلاحاً، وإنما سنكتفي ببيان مختصر للمعاني التي تخدم البحث، فمصطلح ( اللسانيات ) كما هو متداول ومتعارف عليه في الأوساط اللغوية يعني « الدراسة العلمية للغة »<sup>1</sup>، فهي العلم الذي يدرس اللسان البشري ( اللغة الطبيعيّة)، لإبراز خصائص الظاهرة اللغوية وتحليلها وفق منهج ما، وكما هو معروف فإنّ مصطلح اللسانيات يطلق على درس اللغوي الحديث، الذي ظهر في القرن التاسع عشر، ويُقصد به اللسانيات التّاريخيّة، والمقارنة ولسانيات (دوسوسير) ، هذا الأخير الذي يعد رائد اللسانيات الحديثة على الرّغم من قدم التفكير اللغوي.

وأما مصطلح (الوظيفة)، الذي وُصفت به اللسانيات تمييزاً لها، بالشكل الذي يحيل على وجود لسانيات أخرى غير وظيفية، فهو يدلّ على توجه في الدراسة اللغوية نسبة إلى الوظيفة، ويتحدّد مفهومه بتحديد مفهوم (الوظيفة).

وسنكتفي في الجانب اللغوي ببيان مفهوم هذا المصطلح من خلال ما ورد (معجم لسان العرب)، حيث نجد في مادة (و ظ ف): «الوظيفة من كلّ شيء هي ما يُقدّر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب، وجمعها الوظائف، والوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إيّاه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ»<sup>2</sup>.

فالوظيفة في اللغة تدلّ على الدور والمهمة، وقد تتبع الباحث (يحيى بعيطيش) مدلولات مصطلح الوظيفة في المعاجم العربية والأجنبية القديمة، منها والحديثة، وأشار إلى مشتقاتها، مثل الوظيفي، الوظائف، والوظيفية، ليخلص في الأخير إلى أنّ المشترك بين التعاريف اللغوية هو دلالة الوظيفة على الدور، وقد توسّع استعمال مصطلح الوظيفة ضمن مجالات مختلفة، ليحمل دلالات

<sup>1</sup> أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 2005، ص01، من التوطئة.  
<sup>2</sup> محمد بن مكرم بن علي ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، المجلد 09، بيروت، 1959م، ص358.

دقيقة، لا يمكن تحديدها إلا في سياقها، ودخل هذا المصطلح مجال اللسانيات النظرية والتطبيقية ليدل على اتجاه معيّن في الدرس اللساني الحديث والمعاصر.<sup>1</sup>

ما يهمننا في البحث هو إبراز مدلول مصطلح الوظيفة في الدرس اللساني الحديث، فقد حمل هذا المصطلح عدة دلالات عبر تاريخ هذا الدرس اللساني، أهمها:

1- إقامة صلة بين المتكلم والسامع: بناء على تصنيف لطرز الجمل، يتم التأكيد على أنّ المتكلم إما يريد نقل عنصر معرفي، أو الحصول على معلومة، أو إصدار أمر.

2- بلورة الفكر، والتعبير عنه: يبيّن اللسان الجهد الذهني الموحد الذي يدخل الوحدة على التعددية في المعطى التجريبي، وهكذا تكون ماهية اللغة بالذات فعل تمثيل للفكر.

3- التواصل: استعمال نظام لنقل مرسل يشكّل هذا المرسل تحليلاً لأي تجربة إلى وحدات لسانية، فيسمح بذلك للبشر بإقامة صلات فيما بينهم<sup>2</sup>.

فمفهوم الوظيفة متغيّر، ومتعدّد بتعدّد المجالات التي يرد فيها، وكما هو معروف في المجال اللساني، فإنّ هناك عدة تصنيفات لوظائف اللغة، انطلاقاً من كون الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل الاجتماعي، وقد كان مصطلح الوظيفة في اللسانيات يحيل على وظيفة العنصر اللغوي ودوره في إطار الجمل، أو التركيب (البناء اللغوي)، وتمّ تطوير مفهوم الوظيفة ليصبح دالاً على وظيفة اللغة ككل وهي التواصل.

وسيتّم في الصفحات اللاحقة عند الحديث عن المبادئ الوظيفية، الإشارة إلى تطور مفهوم الوظيفة في الحقل اللساني من الدلالة على دور العنصر اللغوي إلى الدلالة على دور اللغة، غن طريق تصنيف العديد من الوظائف، كلّها تحيل على وظيفة التّواصل، وهكذا يمكننا القول إنّ الوظيفة في اللسانيات تعني الدّور.

<sup>1</sup> يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفيّة النّحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، المدخل.

<sup>2</sup> نادية رمضان النّجار: الاتجاه التداولي، والوظيفي في الدّرس اللغوي، مؤسسة جورس الدولية، الإسكندرية، ط1،

وبالعودة إلى مصطلح اللسانيات الوظيفية، ومحاولة تحديد مفهومه بتركيب المفهومين السابقين، فإنّ هذا المصطلح يدلّ على توجّه لساني، منطلقة الأساس هو دور اللغة ووظيفتها التي تؤدّها، فاللسانيات الوظيفية تدرس وتصف وتفسّر خصائص اللسان البشري بربطها بوظيفة التواصل، أما اللسانيات غير الوظيفية فلا تربط الوصف والتفسير اللسانيين بالتواصل<sup>1</sup>. وهكذا يمكن القول إنّ وصف هذه اللسانيات ونعتها بصفة الوظيفية هو من باب تمييزها عن لسانيات أخرى غير وظيفية، وسيوضح مفهوم اللسانيات الوظيفية أكثر ببيان مبادئها المنهجية في الدراسة والتحليل، وعرض النظريات اللسانية التي تندرج في الإطار الوظيفي.

## 2- اللسانيات العربية وتطورها.

### أ- اللسانيات العربية:

المصطلح اللساني العربي قبل الشروع في اللسانيات العربية يجب التطرق إلى المفهوم القديم والحديث لها فكان لزاما علينا ألا ننكر الدور الذي قدمه القدماء في مجال علم اللغة وأصول الفقه وتمهيدهم لظهور اللسانيات الحديثة حيث نستطيع تقسيم اللسانيات العربية إلى فرعين أساسيين من حيث المعنى الذي استعمله كل قسم.

#### . قديما:

استعمل علماءنا قديما هذه التسمية لدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تميزها لها بما هو خارج علم أصول الفقه و علم الكلام وعلم الحديث و علم المنطق و علم الحساب والفقه الفرعي و غيرها من فنون المعرفة، وردت هذه اللفظة في كثير من المؤلفات نذكر منها : المخصص لابن سيده ، ومقدمة ابن خلدون و فيها أيضا علوم اللسان و يتضمن علم أوضاع المفردات وغيرها من حيث السماع" وعلم النحو" أوضاع أنية و المركبات"، ويتناول أيضا علم البلاغة ( علم التبليغ الفعال)، أي دراسة الأساليب الكلامية التي تأثير في مشاعر المخاطب، كما استعملوا أيضا عبارة" علم السان العربي" للدلالة على هذه الفنون التي ذكرناها لكنها مقصورة على اللغة العربية فقط، وكان العلماء الأولون أبو عمرو ابن العلاء ( ت 154هـ) وأصحابه، الخليل(ت175هـ) وسيبويه (ت180هـ) و أصحابهم يعبرون عن هذا المدلول بلفظ العربية فقط أو علم العربية حديثاً.

<sup>1</sup> أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط2، 2010م ، ص12.



. حديثا:

وهنا يورد لنا عبد الرحمن الحاج صالح أن اللسانيات ترجمة للفظة *linguistique* بمفهومه الحديث. ما يدل عليه اللفظ في النصف الثاني من القرن العشرين بعلم اللسان، ويرى أن موضوعه هو اللسان البشري بوجه عام والألسنة المعينة بوجه خاص، كما ينظر إليه العلماء المحدثون.<sup>1</sup>

وعلم اللسان يتعرض إلى الأحداث اللسانية كعلم بحث أي:

. بالموضوعية المطلقة (وله في ذلك مقاييس).

. بمشاهدة الظواهر اللغوية (بأجهزة أو بغير أجهزة).

. بالاستقراء الواسع المستمر (إجراء التحريات المنتظمة)

. بالتحليل الإحصائي.

. باستنباط القوانين العامة.

. باستعمال المثل والأنماط الرياضية اللائقة.

. بتحليل هذه القوانين وجعلها معقولة.

. ببناء نظريات العامة الفعالة القابلة للتطوير.

وتكون نظريته إليها إما زمانية تطويرية، وإما آنية سكونية أو وضعية، وهو قبل كل شيء يهتم بنظام الكلي لا بأجزائه كأجزاء، ومعنى ذلك أنه يلتفت إلى البنية ويتعمق في أسرارها حيث تكون غايته من ذلك الوصول إثبات العلاقات والنسب بين مختلف الظواهر اللغوية بدقة علمية تامة.<sup>2</sup>

ب- النشأة والتطور:

بدأت الدراسات اللغوية العربية تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري، ويعود ذلك إلى الدافع الديني كما أجمع علماء العربية، حيث كانت غايتهم الحفاظ على اللغة العربية و النص

<sup>1</sup> عبد الرحمن حاج صالح: بحوث ودراسات في لسانيات العربية. ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م، ص:

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 25.

القرآني من التحريف، ويرى الدارسون أن أول مؤلف يرجع إليه في ذلك هو كتاب سيبويه، وقد قام الخليل بدور هام في بناء نظرية لغوية عربية خالصة شملت بالتحليل العلمي كل المستويات اللغوية من أصوات وكلمات وجمل و دلالات ويتفق النحاة على أن النحو اكتمل على يدي سيبويه إذ وضع بين ثنايا الكتاب مجمل قضاياها الأساسية، و ما أنبت عليه من أسس وتميز منهجه بالاعتماد على كلام العرب الفصيح و القرآن الكريم و الشعر.<sup>1</sup>

وأهتم اللغويون العرب بمناقشة بعض القضايا اللغوية العامة، مثل مسألة التواضع والإلهام فمنهم من دافع عن المواضعة في اللغة، واحتجوا لرأيه بما أتيح لهم من حجج و براهين، ومنهم من دافع عن الإلهام مفندي رأي من قالوا بالمواضعة، مستندي إلى حججهم و براهينهم، غير أن أكثر اللغويين ذهبوا في هذه القضية مذهب التواضع في اللغة فالدراسات النحوية العربية بلغت مستوى علمياً، رفيعاً، ونضجاً فكرياً مستتيراً، إذ جمعت بين النقل والعقل و الوصف و التحليل، وتتبعه علماءنا الأوائل في بحوثهم إلى بعض القضايا اللغوية التي لم يتطرق إليها اللغويون الغربيون إلا في القرن العشرين، فكانت هذه القضايا النحوية هي الإرهاصات الأولى لعلم اللسان، إلا أنها لم تجسد عند الغرب إلا حديثاً.<sup>2</sup>

هذا فيما يخص البدايات الأولى لعلم اللسان العربي، أما في العصر الحديث فقد شهدت منعرجا آخر كانت مع بدايته التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها مصر في أواخر الخمسينات وسنوات العقد السادس، وقد شهدت الجامعات والمؤسسات الأكاديمية تضيقاً شديداً على الابتعاث بلغ بها شفى الاختناق، واستأثرت التخصصات العلمية البحث وأقسام اللغات الأجنبية بما أتيح. على قلته، وفي هذا المناخ نشأ جيل جديد من الباحثين اللسانيين انقطعت بهم سبل الاتصال بمصادر المعرفة اللسانية في الخارج، ولم يكن ثمة مخرج من هذا المضيق إلا بالأخذ عن الجيل الأول من رواد البحث اللساني، ومع ندرة المترجم إلى العربية، وقصور كثير من طلاب العلم عن الوصول بإتقان الإنجليزية حدا يبسر لهم الإفادة المباشرة من الأصول، وثمة ظاهرة جديرة بالتسجيل فالمتأمل لنتاج جيل الرواد

<sup>1</sup> عبد العلي الودغيري: كلمة مصطلح بين الصواب والخطأ، مجلة لسان العربي. ع48، ديسمبر 1994م، ص: 10,9.

<sup>2</sup> عبد المجيد سالمى مصطلحات اللسانيات في اللغة العربية بين الوضع والاستعمال أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2007م، ص: 90.

في مصر - على أهميته البالغة في تطور معرفتنا باللسانيات المعاصرة - ربما خرج بتصوير غير صحيح تنمها فيه اللسانيات الحديثة و اتجاه مدرسة لندن و الوصفية الأمريكية.<sup>1</sup>

ومع مرور الزمن نشأ واقع لساني جديد خلف ورائه آثار مختلفة نتج عنها بعض الأمور كإصراف بعض الباحثين إلى قضايا فقه اللغة والنحو ومعالجتها من المنظور الساني وذلك بالاستعانة والاعتماد على الطلاء اللساني لترويج القديم في حلة جديدة وكذلك نجد الفهم المشوش والمحرف للمفاهيم اللسانية الحديثة، وإقامها على البنية العربية بالتطبيق الآلي الذي ينقص من خصوصيتها ويغفلها، وذلك يحشرها في قوالب مفهومية سابقة التجهيز.<sup>2</sup>

كذلك الخط السابق الذي أدى إلى استباحة غير اللسانيين لحدود التخصص، وهو ما جعلهم يقعون في الفهم الخاطئ للمفاهيم اللسانية، وهو ما أدى إلى تهجير المصطلح اللساني من السياق العلمي ووضعه في غير موضعه مما أوقع باللسانيات المعاصرة في غمار أزمت ناشئة بفعل التوسع الكمي الهائل في إنشاء الجامعات، فاللسانيات المعاصرة عند العرب ما زالت تسعى إلى استيعاب المنجز اللساني العالمي إلا أنها لم تستطع الإفادة منها بسبب نقص الإحاطة بالتراث اللغوي العربي.<sup>3</sup>

تعد اللسانيات المعاصرة علما حديثا وهو استزادة لتراثنا اللغوي فأتى بمنهجيات وتقنيات تعينه على الكشف عن المعاني، ومن الطبيعي أن يكون التراث النزاع الأول بين حاملي العلم الوافد، والذين يعدون أنفسهم حماة هذا التراث ويعد هذا الميدان أنه الوحيد الذي تتمكن فيه اللسانيات الحديثة أن تثبت جدها في حل الإشكاليات وتفسير الأوامر والتماس العلم لكل ما قصرت وسائل البحث التقليدية عن القيام به، وليس بالشكل القليل ما قام به الرواد اللسانيين الأوائل في هذه السبل ، فلقد وضع النحو العربي التقليدي موضع المساءلة الجادة ونفض الغبار عن كنوز من المراهنات والتحليلات في كتب التراث القديم.<sup>4</sup>

كما أولى الدارسون العرب اهتمامهم باللغة حيث تطرقوا إلى مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية ودلالة ألفاظها، وأتى كل ذلك أكله عند بعضهم في صورة مشروعات علمية متكاملة تشكلت

<sup>1</sup> سعد عبد العزيز مصلوح: في السانيات العربية المعاصرة. عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2004م، ص: 21، 22.

<sup>2</sup> سعد عبد العزيز مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة ، ص: 23.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص: 24، 26.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ، ص: 28.

بالمزاوجة بين روافد العلم الأصيل والوفاة، إذ أننا إذا زوَجنا جيل الرواد بحديثنا طالعتنا صورة متداخلة لا تكاد تستبين ملامحها للمتأمل.<sup>1</sup>

لا يزال الدرس اللساني العربي في معالجة التراث محصوراً معظمه في أفق مهني بالغ الضيق والعقول فلا يرى موضوعاً له إلا ما كان في معالجة لمسائل من النحو والصرف، أو لقضايا من المعجم وفقه اللغة، ومما يأسفنا أن يكون ذلك مبلغ أهله من العلم برحابة أفق البحث اللساني، وإن كان هذا الأفق ليتمتد فيشمل بالفحص والتشخيص والتحليل لجميع أوجه النشاط اللغوي عند الإنسان، بدءاً من أرقى ثمرات العقل في الأدب والفلسفة والعلوم إلى أبسط حوار يجري بين العامة وأعراض المتكلمين.

وأكثر ما صدر من دراسات للسانيين المحدثين ما يتخذ التطور اللغوي عنواناً له لا يزال للأسف أسير النظريات اللسانية التي سادت في القرن التاسع عشر عند الدارويين، ومدارس المقارنات اللسانية فلا يكاد يجمعه جامع باتجاه اللسانيات التاريخية، فيما بعد دي سوسير، هو نقيض خالص لمقولات البنيوية التي هي جوهر الانقلاب السويسري في تاريخ اللسانيات لذلك كان قصار أولئك الباحثين هو الرصيد التفتيتي الذي لبعض التغيرات في مفردات الكلمات، فليس ثمة بحث في تغيير كليات النظم الصوتية والصرفية والنحوية في دواتها، وفي الاعتماد المتبادل في بعضها وبعض.

<sup>1</sup> سعد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص: 29.28.



الفصل الأول:

اللسانيات الوظيفية النظرية

## المبحث الأول: اللسانيات الوظيفية

## 1- تصنيف النظريات اللسانية إلى وظيفية وغير وظيفية.

تتعدّد النظريات اللسانية اليوم وتتشعب بالشكل الذي يُصعب على الدارس والمتتبع للمنطلقات المعرفية لهذه النظريات تصنيفها تصنيفاً دقيقاً<sup>1</sup>، وذلك لتكاثرها حتى داخل النموذج اللساني الواحد.

وعلى الرغم من هذا التعدّد وهذا التكاثر للنظريات اللسانية، يمكن تصنيفها تصنيفاً عاماً إلى اتجاهين رئيسين، أو زمرتين كبيرتين، اتجاه وظيفي، واتجاه غير وظيفي أو صوري، أو شكلي كما يطلق البعض عليه، ولكلّ اتجاه مجموعة من المبادئ المنهجية التي يتبناها انطلاقاً من معيار فاصل في التصنيف، ألا وهو الوظيفة التواصلية، كما سبق القول.

فاللسانيات الحديثة في مقابل اللسانيات التقليدية، منها ما هو تاريخي، ومنها ما هو غير تاريخي أي وصفي، والوصفي منها، منه ما هو وظيفي، ومنه ما هو غير وظيفي، أي صوري، أو معياري، وذلك بالرجوع إلى ربط الوصف والتفسير اللغويين بالوظيفة التواصلية من عدمه، ومن الطبيعي، بما أنّ الاتجاهين لسانيين، أن يكون هناك مجموعة من المبادئ المشتركة بينهما، ومجموعة من المبادئ المختلفة، وقد رصد ( المتوكل ) أوجه الالتقاء وأوجه الاختلاف بين الاتجاهين، والثانية أكثر من الأولى، ويمكن تلخيص أوجه الالتقاء بين الاتجاهين في النقاط الآتية:<sup>2</sup>

1- النظريات اللسانية جميعها موضوعها اللسان البشري.

2- النظريات اللسانية جميعها تهدف إلى وصف الخصائص الجامعة للغات الطبيعية على اختلاف اتجاهاتها، وتسعى إلى وضع نحو كلي، تتفرع عنه أنحاء خاصة تقوم بوصف كلّ لغة على حدته.

3- تصوغ كلّ نظرية نموذجاً صورياً ترى أنّه كاف لتمثيل خصائص الظواهر اللغوية.

4- الأنحاء التي صاغتها هذه النظريات هي أنحاء قدرة، وليست أنحاء إنجاز، أي أنها تستهدف وصف قدرة السامع المتكلم المثالي، ومعرفة بلغته، ولا تستهدف وصف الإنجازات الفعلية في السياقات التواصلية المعينة. وهذه النظريات تقدر بدرجات متفاوتة مستوى للتمثيل للجوانب التركيبية، والجوانب الدلالية والجوانب التداولية وهذه الجوانب تشترك فيها النظريات جميعها على اختلاف تصنيفها.

<sup>1</sup> سعد عبد العزيز مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 11.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص14.

وبإلقاء النظر في أوجه الالتقاء بين النظريات اللسانية، بتوجيهها الوظيفي، وغير الوظيفي، نقول إن هذه النظريات جميعاً تدرس اللسان البشري، وتصف خصائصه الكلية، وخصائصه التي تتفرد بها كل لغة، وتقدم نماذج تعكس نظرتها إلى اللغة، وكيفية دراستها، كالتركيز على جوانب لغوية دون جوانب أخرى.

أما أوجه الاختلاف بين الاتجاهين، والتي قلنا إنها أكثر من أوجه التشابه، فيمكن تلخيصها في النقاط الآتي ذكرها:<sup>1</sup>

1- تعد النظريات غير الوظيفية اللغة نسقا مجرداً، يؤدّي العديد من الوظائف، أهمها التعبير عن الفكر، أما النظريات الوظيفية فتعدّ اللغة أداة للتواصل الاجتماعي.

2- تعتمد النظريات الوظيفية على فرضية كون اللغات الطبيعية لا يمكن وصفها، وتفسير خصائصها دون ربطها بوظيفة التواصل، أما النظريات غير الوظيفية فتري إمكانية إقامة الوصف والتفسير بمعزل عن وظيفة التواصل.

3- يتعلّم الطّفّل اللغة حسب الصورتين وفق مبادئ فُطر عليها، أما الوظيفيون فيرون أنّ الطّفّل يتعلّم النسق النحوي، إضافة إلى المعاني الثانوية خلف هذا النسق أي كيفية استعمال هذا النسق.

4- قد تفرد النظريات الصورية ( كنظرية المعيار الموسعة) مستوى لتمثيل الجوانب التداولية، في حين يُعدّ هذا المستوى هو الأساس في النظريات الوظيفية؛ إذ يحدّد في هذه النظريات المستويان الدلالي والتداولي، الخصائص الممثل لها في المستويين الصرفي والتركيب، بينما يؤدّي المستوى التداولي دوراً ثانوياً في الاتجاه الصوري، مقارنة بالمستوى التركيبي وإلقاء النظر في هذه الأوجه للاختلاف، نقول إنّ المنطلقات المعرفية التأسيسية لكل اتجاه، التي تحدّد نوع المنهج والإجراءات التحليلية، وهي التي يتم بلورة تصوّرها في نماذج مختلفة، تركز إما على التركيب، وإما على التداول .

والسؤال المطروح في هذا الصدد هو: هل يمكن اجتماع الصوريّة والوظيفية معا في نظرية واحدة؟

والإجابة هي نعم ، يمكن لنظرية واحدة أن تجمع بين الصوريّة، والوظيفية في الآن ذاته، وليس في الأمر أي تعارض من ذلك نظرية النحو الوظيفي، التي تعدّ نظرية وظيفية في مبادئها، وتقدم نماذج

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، مرجع سابق، ص 15 - 16.

تجمع بين الوظيفية، والصورية، وذلك أنّ هذه النظرية تسعى إلى « دراسة الخصائص الصورية للغة الطبيعية ، وربطها بوظيفة التواصل باعتبارها وظيفة مركزية، وتشكّل هذه الوظيفة الخاصية المميزة له عن العديد من الأنحاء، خصوصا التوليدية منها، وقد حدّد النحو الوظيفي هدف اللسانيات في وصف القدرة التّواصلية لمستعملي اللغة الطبيعية<sup>1</sup>. فالنحو الوظيفي ينطلق من مبدأ كون اللغة أداة للتواصل الاجتماعي، وهذه الوظيفة هي الأساس في بناء النماذج الصوريّة التي تصف وتفسّر خصائص اللسان البشري، ولا يمكن في نظر هذه النظرية بناء نماذج صوريّة دون ربطها بوظيفة التواصل.

فالجانب الصوري في النحو الوظيفي يتمثل في مجموع الأليات التي يسعى من خلالها إلى التمثيل لمختلف جوانب وأبعاد الظاهرة اللغوية، ضمن الجوانب المقومة للسان البشري وخصائصه الصوتية والتركيبية، وهي خصائص صوريّة لأنّها ترتبط بشكل وصورة اللسان البشري، ومن هذا المنطلق فإنّ كلّ الأنحاء صوريّة، والأنحاء الوظيفية أنحاء صورية تعتمد على العدة ذاتها التي تعتمد عليها الأنحاء الصوريّة في النمذجة، أي التمثيل المجرد، فالنحو الوظيفي يقترح نماذج مجردة، ويقترح مجموعة من القواعد.<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس، فإنّ الأنحاء الوظيفيّة لئن كانت تنطلق من وظيفة التواصل، وتسعى إلى ربط الوصف والتفسير بهذه الوظيفة، فإنّ بناء نماذج للتمثيل لخصائص اللسان البشري لا يستقيم دون إطار نظري صوري يؤطر ما تقترحه من أبعاد تقعد لعملية الوصف، في حين إنّهُ يمكن لنظرية غير وظيفية أن تقيم عمليّة الوصف والنّمذجة الصورية بمعزل عن وظيفة التواصل، أي وصف الخصائص الصرفية والتركيبية دون ردها إلى الدّالة، والتداول.

وينعكس المنطلق السابق، على عمليّة النّمذجة في بناء الأنحاء الصورية، حيث يكون التركيب مستقلا عن الدّالة والتداول، ويكمن دور المستويين الدّلالي والتداولي في تأويل البنية، أما في الأنحاء الوظيفية فدور هذين المكونين أساسي، حيث يتضمنان كل المعلومات التي تحتاجها القواعد الصرفية التركيبية، أي المعلومات المحدّدة لتركيبية المكوّنات اللغوية<sup>3</sup>. ومن هنا فإنّ الجوانب الصورية موجودة

<sup>1</sup> أحمد المتوكل اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، ص 46.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 16. 17. 18.

<sup>3</sup> احمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية ، ص 17، 18.



في كلّ الأنحاء الوظيفية وغير الوظيفية، مع اختلاف واضح في عمليّة الصّورنة، ويكمن الفرق في استقلاليّة التّركيب عن الدّلالة والتداول، أو عدّه عاكسا لهما.

## 1-2 المبادئ المنهجية لللسانيات الوظيفية.

مصطلح اللسانيات الوظيفية مصطلح مركب تركيبياً وصفيّاً من مصطلحين اثنين هما: اللسانيات والوظيفية (الوظيفة ألحقت بها ياء النسب)، ولكي يتضح لنا مدلول المصطلح المركب علينا بيان مدلول كل مصطلح على حده.

ونشير في هذا الموضوع إلى أننا لن نتعمق في دلالة المصطلحين، لغة واصطلاحاً، وإنّما سنكتفي ببيان مختصر للمعاني التي تخدم البحث، فمصطلح (اللسانيات) كما هو متداول ومتعارف عليه في الأوساط اللغوية يعني « الدّراسة العلميّة للغة »<sup>1</sup>، فهي العلم الذي يدرس اللسان البشري ( اللغة الطّبيعيّة)، لإبراز خصائص الظاهرة اللغوية وتحليلها وفق منهج ما، وكما هو معروف فإنّ مصطلح اللسانيات يطلق على درس اللغوي الحديث، الذي ظهر في القرن التاسع عشر، ويُقصد به اللسانيات التّاريخيّة، والمقارنة ولسانيات (دوسوسير) ، هذا الأخير الذي يعد رائد اللسانيات الحديثة على الرّغم من قدم التفكير اللغوي.

وأما مصطلح (الوظيفة)، الذي وُصفت به اللسانيات تمييزاً لها، بالشكل الذي يحيل على وجود لسانيات أخرى غير وظيفية، فهو يدلّ على توجه في الدراسة اللغوية نسبة إلى الوظيفة، ويتحدّد مفهومه بتحديد مفهوم (الوظيفة).

وسنكتفي في الجانب اللغوي ببيان مفهوم هذا المصطلح من خلال ما ورد (معجم لسان العرب)، حيث نجد في مادة ( و ظ ف): «الوظيفة من كلّ شيء هي ما يُقدّر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب، وجمعها الوظائف، والوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إيّاه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ»<sup>2</sup>.

فالوظيفة في اللغة تدلّ على الدور والمهمة، وقد تتبّع الباحث (يحيى بعبطيش) مدلولات مصطلح الوظيفة في المعاجم العربية والأجنبية القديمة، منها والحديثة، وأشار إلى مشتقاتها، مثل الوظيفي،

<sup>1</sup> أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص01، من التوطئة.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 2 ، ص358..

الوظائف، والوظيفية، ليخلص في الأخير إلى أنّ المشترك بين التعاريف اللغوية هو دلالة الوظيفة على الدور، وقد توسّع استعمال مصطلح الوظيفة ضمن مجالات مختلفة، ليحمل دلالات دقيقة، لا يمكن تحديدها إلا في سياقها، ودخل هذا المصطلح مجال اللسانيات النظرية والتطبيقية ليدل على اتجاه معيّن في الدرس اللساني الحديث والمعاصر.<sup>1</sup>

ما يهمننا في البحث هو إبراز مدلول مصطلح الوظيفة في الدرس اللساني الحديث، فقد حمل هذا المصطلح عدة دلالات عبر تاريخ هذا الدرس اللساني، أهمها:

1- إقامة صلة بين المتكلم والسامع: بناء على تصنيف لطرز الجمل، يتم التأكيد على أنّ المتكلم إما يريد نقل عنصر معرفي، أو الحصول على معلومة، أو إصدار أمر.

2- بلورة الفكر، والتعبير عنه: يبيّن اللسان الجهد الذهني الموحد الذي يدخل الوحدة على التعددية في المعطى التجريبي، وهكذا تكون ماهية اللغة بالذات فعل تمثيل للفكر.

3- التواصل: استعمال نظام لنقل رسالة يشكّل هذا المرسل تحليلاً لأي تجربة إلى وحدات لسانية، فيسمح بذلك للبشر بإقامة صلات فيما بينهم<sup>2</sup>.

فمفهوم الوظيفة متغيّر، ومتعدّد بتعدّد المجالات التي يرد فيها، وكما هو معروف في المجال اللساني، فإنّ هناك عدة تصنيفات لوظائف اللغة، انطلاقاً من كون الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل الاجتماعي، وقد كان مصطلح الوظيفة في اللسانيات يحيل على وظيفة العنصر اللغوي ودوره في إطار الجمل، أو التركيب (البناء اللغوي)، وتمّ تطوير مفهوم الوظيفة ليصبح دالاً على وظيفة اللغة ككل وهي التواصل.

وسيتّم في الصفحات اللاحقة عند الحديث عن المبادئ الوظيفية، الإشارة إلى تطور مفهوم الوظيفة في الحقل اللساني من الدلالة على دور العنصر اللغوي إلى الدلالة على دور اللغة، عن طريق تصنيف العديد من الوظائف، كلّها تحيل على وظيفة التّواصل، وهكذا يمكننا القول إنّ الوظيفة في اللسانيات تعني الدّور.

<sup>1</sup> يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية النحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، ص :

<sup>2</sup> نادية رمضان النّجار: الاتجاه التداولي، والوظيفي في الدّرس اللغوي، ص 157

وبالعودة إلى مصطلح اللسانيات الوظيفية، ومحاولة تحديد مفهومه بتركيب المفهومين السابقين، فإنّ هذا المصطلح يدلّ على توجّه لساني، منطلقة الأساس هو دور اللغة ووظيفتها التي تؤدّها، فاللسانيات الوظيفية تدرس وتصف وتفسّر خصائص اللسان البشري بربطها بوظيفة التواصل، أما اللسانيات غير الوظيفية فلا تربط الوصف والتفسير اللسانيين بالتواصل<sup>1</sup>. وهكذا يمكن القول إنّ وصف هذه اللسانيات ونعتها بصفة الوظيفية هو من باب تمييزها عن لسانيات أخرى غير وظيفية، وسيوضح مفهوم اللسانيات الوظيفية أكثر ببيان مبادئها المنهجية في الدراسة والتحليل، وعرض النظريات اللسانية التي تندرج في الإطار الوظيفي.

## 2 - نشأة التيار اللساني الوظيفي وتطوره

اتجهت اللسانيات اليوم نحو دراسة الكلام بشتى صوره في المواقف التواصلية المختلفة، في الاستعمالات والخطابات اليومية، رامية في ذلك إلى تفسير الكفاية التواصلية، ومكوناتها وكيفية اشتغالها في فعل التواصل.

ويمكن القول إنّ التفكير اللساني قد تطوّر في منطلقاته الابدستومولوجية، مغيّرا مساره من مرحلة النحو، إلى مرحلة اللسانيات، ثم إلى مرحلة التواصل<sup>2</sup>، ولأجل تفسير كاف للكفاية التواصلية، اقترض الدرس اللساني مفاهيم ومصطلحات وإجراءات من التداولية، التي تدرس الأفعال الكلامية، وقد سبق القول إنّ النظريات اللسانية الوظيفية تفرد مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية، وهذا المستوى أساسي لا غنى عنه، فيكون النحو وظيفياً رابطاً الخصائص التداولية بالخصائص الصرفية. التركيبية، حيث تكون هذه الأخيرة عاكسة للأولى، وتتنظم علاقات هذا النحو بالشكل الذي يجعل خرج المكوّن التركيبي ينطبق على خرج المكوّن التداولي، وهنا تبرز العلاقة الواضحة بين مبادئ اللسانيات الوظيفية، وبين مبادئ التداولية، ولكي نوضح كيفية دمج المكوّن التداولي في النظريات الوظيفية، علينا أن نوضح كيف تطوّر الدرس اللساني في مراحل المتتالية وكأنّه كان « منقلبا رأسا على عقب

<sup>1</sup> : أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، ص12.

<sup>2</sup> عبد السلام عشير: تطوّر الفكر اللغوي من النّحو إلى اللسانيات إلى التّواصل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010. ص : 120 .

«<sup>1</sup>، كما يرى ( ليتش J.Letch ) مما أدى إلى محاولة إعادة ترتيب هذا الدرس بالشكل الصحيح، وإرساء مناهج لسانية جديدة، وهذه المراحل ثلاث : مرحلة الدوال، مرحلة الدلالات، مرحلة التداوليات.

\* **المرحلة الأولى: (مرحلة الدوال) :** ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة الدوال، وتجد هذه التسمية مشروعيتها من الاهتمام بالدال في ذاته، في اللسانيات البنيوية وليس القصد بنوية (دوسوسير) فقط، بل كل الدراسات التي لم تتجاوز في تحليلها بنية اللغة، ويمكن تمييز تيارين اثنين عنيا بدراسة الدوال هما:

- تيار عني بالبنية الصوتية والصرفية، أما التركيب فقد كان على درجة كبيرة من التجريد، وأما الدلالة الكامنة وراء هذه البنى الصوتية والصرفية، فهي مقصاة من الدراسة اللسانية، ويشمل الدراسات البنيوية الأوروبية والأمريكية.

- وتيار بني على مركزية التركيب، وهو يتمثل في النحو التوليدي التحويلي، أسس له العالم (تشومسكي)، وهذا الأخير كان «ينظر إلى الدلالة بالإجمال وكأنها مشوشة بالنسبة إلى النظر والتأمل الجاد»<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من أنّ النحو التوليدي التحويلي أحدث ثورة في مجال الدرس اللساني الحديث، وحاول تغيير مساره منتقدا الدراسات السلوكية، إلا أنّ التأمل في هذا النحو، يجد الكثير من النقاط المشتركة بين هذا النحو، وبين بنوية (دوسوسير) والدراسات التي نحت نحوه، من بين ذلك التشابه والتقابل الحاصل بين ثنائيتي (لغة كلام) و (كفاية إنجاز) كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وجدير بالذكر هنا، أنّ سبب هذا التقسيم مردّه تحديد موضوع اللسانيات، واستبعاد اللاموضوع؛ أي بيان الحدود الدقيقة بين ما ينبغي أن يُتخذ موضوعا للدرس اللساني، وبين ما ينبغي استبعاده من هذه الدراسة، وبالإضافة إلى الاختلاف الذي يبدو شكلياً فقط، بين البنيوية وبين التوليدية التحويلية، يمكن الجمع بينهما في إطار منهجي، واحد، فالتوجهان يذهبان إلى دراسة اللغة خارج سياقها الاجتماعي، فكلتا

<sup>1</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013م، ص : 09.

<sup>2</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، ص 10.

المقاربتين على الصعيد المنهجي تتعاملان مع النسق اللغوي معزولا عن سياقه الاجتماعي والثقافي<sup>1</sup>، وهذا العزل المنهجي هو الذي أدى إلى إقصاء الدلالة والتداول وتأخرهما إلى المرحلتين التاليتين.

\* **المرحلة الثانية: (مرحلة الداليات)** : وهي المرحلة التي عنيت بالدلالة، وقد كانت هذه العناية في أمريكا، ومعروف أن أمريكا هي موطن السلوكية، التي تهتم بالسلوك اللغوي الظاهر، وتهمل دلالة هذا السلوك لصعوبة إخضاعها للمنهج العلمي، وهي مرحلة فكر فيها تلاميذ (تشومسكي) مثل كاتز (Katz)، فودور (Fodor)، بوستال (Postal)، ولايكوف (Leikoff) في كيفية إدخال الدلالة في نظرية النحو التوليدي التحويلي، ثم ما لبث لأبوف (Laboff) وآخرون يحتجون على دراسة التركيب اللغوي معزولا عن تداوله، وهكذا دخلت الدلالة إلى الدرس التوليدي التحويلي من طرف ( كاتز ) ومعاونيه ( فودور وبوستال ) وغيرهم سنة (1953) وما تلاها ، وقد أثبتت التداولية نفسها على الخارطة اللسانية في أواخر الستينيات، لكن أعظم تأثير لها كان من طرف فلاسفة اللغة العادية ( أوستن Austin ) و ( سيرل Serl ) ، و ( غريس Grice )<sup>2</sup>.

وكانت هذه هي الخطوة الأولى لدخول التداولية إلى اللسانيات الأمريكية وقد أصر الرواد وعلى رأسهم (روس Ross) على أهمية التداولية ومشروعيتها في الدرس اللساني الأمريكي<sup>3</sup>.

ولا ننسى أوروبا ، أين بدأت التداولية تثبت وجودها في لسانياتها، مع لسانيين وظيفيين مثل ( هاليداي ) ، وفي هذه المرحلة بدا التفكير الجدّي في أمريكا في دراسة المعنى (الدلالة)، وعندما نتحدّث عن النزوع نحو دراسة الدلالة في أمريكا، يجب أن نتحدّث عن جهود فلاسفة اللغة العادية، ومحاولاتهم الجادة تغيير النظرة إلى اللغة، على أنها ليست نسقا ترميزيا بل هي أداة وظيفية اجتماعية، حيث بدأت العلوم المعرفية تتجاوز هذه النظرة إلى اللغة، ففي الاستعمال اللغوي لا يكفي الترميز في إنتاج الكلام وفكّ الترميز عند تأويله، بل توجد عمليات استدلالية تدخل في صميم الاستعمال، ولهذا السبب فشل الذكاء الاصطناعي في هندسة اللغة، في مشاريعه في الخمسينيات من القرن الماضي وبالضبط سنة (1946) ، في ضوء هذه النظرة إلى اللغة، وهو ما أدى إلى نشوء مشروع ضخم

<sup>1</sup> آن روبرول وجاك موشلار: التّواصل من أجل مقارنة تكاملية للشّفهي من ص 15، إلى ص 20.

<sup>2</sup> فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان تر صابر الحباشة وعبد الرزاق الجماعي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 1، 2012، ص 24.

<sup>3</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، ص 09-10.

تتقاسمته مجموعة من العلوم المعرفية كعلم النفس والفلسفة، شارك فيه ( تشومسكي ) بمقالاته، وأسهم فيه فلاسفة اللغة العادية.<sup>1</sup>

لقد ساهمت فلسفة اللغة المنطقية (الصورية) واللغة العادية في تغيير النظرة إلى اللغة، والنزوع نحو الاهتمام بالمعنى، وبذلك «قد كانت الاختصاصات العلمية التي تمثل المعنى (الدلالة) موضوعا دقيقا لها في موضع مسائلة، مما أدى إلى ولادة التداولية»<sup>2</sup>. ومن المجالات الحساسة التي يمثل المعنى موضوعا لها اللسانيات، مما أدى إلى إعادة توجيه مسارها نحو دراسة المعنى.

لكن السؤال المطروح هنا، هو عن سبب تأخر دراسة المعنى (الدلالة) حتى هذه المرحلة من الدرس اللساني، والاكتفاء بدراسة الصوت، والصرف والتركيب على الرغم من كون اللغة تستعمل أولا وقبل كل شيء لإنتاج المعنى وتأويله.

ويعد نزوع الدرس اللساني نحو دراسة المعنى تحولا خطيرا، وذلك لصعوبة إخضاع المعنى للدراسة والتحليل، ولذلك توقفت الدراسة اللسانية قبل الستينيات في تناول المعنى عند حدود المعجم (معنى الكلمات والجمل)، حتى اقتحمت عليها التداولية مجالها.<sup>3</sup>

فاللسانيات البنيوية كانت تكتفي ببيان معنى الكلمات والجمل، أما اللسانيات التوليدية التحويلية فالمعنى يعد أمرا ثانويا بالنسبة لها، مقارنة بالتركيب الذي يحتل المركز، ولذلك فإنه من مأخذ الدراسات السابقة الاهتمام بالدوال اللغوية، وإهمال الدلالات، مما دفع باللسانيين الاجتماعيين وفلاسفة اللغة العادية إلى إبداء ملاحظاتهم حول مواطن النقص التي لاحظوها، وانتقدوا اللسانيات السابقة «كونها غير قادرة على أخذ الواقع الاجتماعي للاستعمالات بعين الاعتبار»<sup>4</sup>. وذلك للاهتمام بالبنية الشكلية في التوجه البنيوي، وبالكفاية النحوية في التوجه التوليدي التحويلي، واستبعاد الاستعمالات الكلامية بقرار من (دوسوسير) حين حصر موضوع اللسانيات في اللغة لا الكلام، وبقرار من

<sup>1</sup> آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، لمنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، من ص11، إلى ص25.

<sup>2</sup> فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 22

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص24.

(تشومسكي) هو الآخر بتحديدده لموضوع اللسانيات بأنه الكفاية لا الإنجاز، لتأتي المرحلة الثانية من الدرس اللساني التي تُعني بالدلالة ودراسة المعنى.

ويمكن أن نطلق عليها مرحلة الدلالات، وفيها نقلت الدلالة إلى مركز، وقلب النظرية اللسانية، بعد الملاحظات التي أبدت حول الدراسات اللسانية السابقة، مع الوعي التام بصعوبة المهمة، لصعوبة الإمساك بالمعنى ودراسته.

ودخلت التداولية إلى اللسانيات من باب التوليدية التحويلية على يد تلاميذ (تشومسكي) وعلى رأسهم (لايكوف)، حيث أدرج التداولية في النموذج التوليدي عام (1970)، بعد التمرد الذي حصل على نظرية الكفاية التي تتضمن القدرة النحوية، التي يكون التركيب آلة لها، وتهمل استعمال اللغة، وبدأ الاشتغال على سؤال المعنى عقب هذه الانتقادات، وحين فعل اللسانيون ذلك، كان فلاسفة اللغة العادية قد سبقوهم إليه، ولما اكتشف اللسانيون ذلك تأثروا بفلاسفة اللغة العادية ونظرتهم للمعنى.<sup>1</sup>

وبدخول التداولية المجال اللساني، كردّ فعل على التجريدية والافتراضية التي تميزت بها التوليدية التحويلية، وبعدها عن الواقعية الاجتماعية، ظهر علم الدلالة الذي نشأ في إطار النظرية التوليدية التحويلية، لكنّه علم للدلالة الصورية، وسيتم شرح ذلك عند الحديث عن النظريات الوظيفية التي تنشأت من رحم التوليدية التحويلية.

وبدا في هذه المرحلة علماء الدلالة التوليديون يشتغلون على سؤال المعنى، و نشأت الدلالة التوليدية بسبب تيارين اثنين هما : وظيفية ( أندري مارتيني بين سنتي (1960 و 1970 ) والتي كانت تؤمن بأنّ اللغة تتغير لأننا نحتاجها في عملية التواصل الاجتماعي، وهذه الوظيفية تطوّرت دون أن تتخلّى عن مبادئ البنيوية من جهة، واتسمت بالواقعية من جهة أخرى، في مقابل النحو الكلي الافتراضي الذي جاء به (تشومسكي) ، وتتلّمذ على يد ( مارتيني )، (فاينرش Wenrech ) ، والذي تتلمذ على يده ( لايكوف ) والذي سبقت الإشارة إلى احتجاجه على عزل التركيب عن الدلالة والتداول، وهؤلاء الذين اشرنا إليهم هم أهم علماء اللسانيات الاجتماعية، التي تدعو إلى دراسة الظاهرة اللغوية في سياقها الاجتماعي، أمّا التيار الثاني فهو تطوّر اللسانيات التداولية التلفظية مع ( بنفينيست

<sup>1</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، ص 10.

( Benveniste ) بين سنتي (1960 و 1975)، والتي كانت تنادي بتجاوز الكلمة أو الوحدة الصرفية في الدراسة، واستبدالها بالخطاب ككل.<sup>1</sup>

وقام علماء الدلالة التوليديون بمعالجة بعض الظواهر التداولية مثل الاقتضاء، وحتى أفعال الكلام في إطار عام للنظرية التوليدية، وقد باءت محاولاتهم بالفشل، وليس هو فشل النظرية التي تظهر فنكذب، وإنما هوة فشل ناجم عن عدم النزوع إلى التراكم المعرفي البطيء، الذي نشأت وفقه النظرية، أي إن هذه الظواهر التداولية أقحمت في نظرية جاهزة، فباءت المحاولة بالفشل<sup>2</sup> فالمنطلقات المعرفية لم تكن بالأساس منطلقات وظيفية، إنما هي منطلقات نحوية بحتة، إذ أن النموذج التوليدي التحويلي لم تكن الدلالة والتداول في مركزه بل كان التركيب يحتل المركزية، أما الدلالة والتداول فأقحمهما التوليديون الدالليون إقحاما، وقد حاول (تشومسكي) خلال نظريته ( المعيار المعممة والموسعة ) إيجاد تعريف ضيق المدى لنموذج النظرية، في حين كان التوليديون الدالليون يبحثون عن أقصى الحدود لنموذج نظريتهم، يكون مبنيا على الدلالة المنطقية والتداول، ونظرية المعيار المعممة والموسعة أسست على مركزية التركيب أو العبارة، وتمسك فيها (تشومسكي) برأيه القائل إن التركيب وحدة ويشكل مستقل، هو آلة الكفاية الذهنية، ولم تحتل فيه الدلالة إلا موقعا هامشيا ، ولم تدخل فيه التداولية إلى قلب النموذج لأن (تشومسكي) لم يبحث في استعمالات اللغة بشكل جاد.<sup>3</sup>

وهكذا حاولت اللسانيات التوليدية التحويلية التي وُجّهت لها انتقادات لاذعة كونها تبحث في كفاية ذهنية افتراضية بعيدة عن الواقع اللغوي، أن تدرس المعنى ( الدلالة ) في هذا الإطار، أي مع الإقرار بمركزية التركيب النحوي ، ولذا ظلت لسانيات داخلية، لم تفتح على المجتمع اللغوي، وعلى الأنساق غير اللغوية التي تساهم في عملية التواصل، وبقيت هذه اللسانيات تواجه الانتقادات حتى من داخل النظرية ذاتها، وكان لزاما على اللسانيين أن يبحثوا « عن مقاربات أوسع مدى من ذلك الذي تقيّد به هؤلاء الذين اتخذوا النحو التوليدي كنظرية »<sup>4</sup>. وهو ما أدى إلى نشوء مقاربات أخرى خارج الإطار التوليدي التحويلي، تبحث في نطاق أوسع من التركيب المحض، وتفتح بابا نحو المجتمع،

<sup>1</sup> فيليب بلانشيه: التداولية من اوستن إلى غوفمان، ص 25-26.

<sup>2</sup> جيفري لينش : مبادئ التداولية، ص 11.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 12.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص : 12 .



وتبحث في الأمور المرتبطة بعملية استعمال اللغة في التواصل، والتي تتجاوز حدود النحو إلى ما هو خارج عن اللغة.

### المرحلة الثالثة: (مرحلة التداوليات)

وهي التي تطوّرت فيها كثيرا دراسة الدلالة والتداول، ودخلت فيها التداولية إلى قلب النموذج اللساني، ولذلك يطلق عليها تسمية (مرحلة التداوليات)، وتناولت علوم معرفية كثيرة كالفلسفة واللسانيات، دراسة المعنى من خلال استعمال العلامة (الدليل Singne)، التي تتكوّن من الدال والمدلول، ولذلك يطلق عليها أيضا تسمية (الدلائليات) نسبة إلى الدليل اللغوي، ذلك «أنّ مسألة العلامة وهي في صميم الدّراسة اللسانية، والفلسفيّة، والدّلالية، وتبعاً لذلك مثلت موضوع اختصاص علمي مخصوص، وهي الدلائلية والعلامتية»<sup>1</sup>.

فعندما حدد (دوسوسير) عناصر العلامة اللسانية، جعلها ثلاثة هي : الدال، والمدلول والمرجع، لكنّه في حقيقة الأمر جعل العلامة مزدوجة تتكوّن من دال ومدلول، أما المرجع الذي تحيل عليه، فهو مقصّي، فقد تم إقصاؤه في كل المقاربات الصورية، والعلاقة بين الدال (الصورة السمعية) وبين المدلول (الصورة المفهوميّة) هي علاقة لا تخرج عن حدود الكلمة، أما في الدلائلية فيحضر المرجع حضوراً قوياً ويحتل مركزاً رئيساً فالصورة السمعية تدلّ على مفهوم، وهذا المفهوم يحيل مرجعاً ما إذا لم يتم الرجوع إليه عند تحليل العلامة، سيكون التحليل قاصراً كشف عن المعنى، ولذلك يتم تحليل العلامة في سياقها الاجتماعي، في مواقف تواصلية معينة، لمعرفة معناها ، والوظائف التي تؤديها بشكل دقيق.

ويعدّ (بيرس Peirce) مؤسس علم الدلائلية بفلسفته النّعيّة، سلفاً للتداوليين الذين جاؤوا بعده، فقد أسهم إسهاماً كبيراً في التداولية.<sup>2</sup>

وجاء بعده الفيلسوف الأمريكي (موريس C.Mouris) الذي أسس نظرية العلامة وهو أوّل من استعمل مصطلح التداولية في كتابه " أسس نظرية العلامات "، حيث استعمل هذا المصطلح للدلالة

<sup>1</sup> فيليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 27.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، من ص 28 إلى ص 33.

على المستوى الثالث بعد المستويين التركيبي، والدلالي<sup>1</sup>. وقد أضاف هذا المستوى قصد إعطاء تحليل كاف للعلامة، خلال عمليتي الإنتاج والتأويل، وفي ظل هذه المتغيرات الفكرية التي سادت تلك الفترة، ومتغيرات فكرية أخرى، وجد اللسانيون بوادر إنشاء نظريات ذات أفق أرحب من تلك التوليدية، لدراسة وتحليل الأنظمة اللغوية، فالمناخ المعرفي كانت تسوده نزاعات تتعارض جذرياً مع آراء ( تشومسكي ) ونحوه التوليدي التحويلي، فقد انتقد اللسانيون الاجتماعيون وعلى رأسهم ( ديل هايمز ) ، النزعة التجريدية والمثالية للاتجاه السوري في تصوّره للكفاية ، كما أن علم النفس ونظرية الذكاء الاصطناعي اثبتا الطابع الإجرائي للقدرات والمهارات، على خلاف ما يقرّه (تشومسكي) من فصل لللسانيات عن العمليّات النفسية، ورفضت النظرية النصية حصر الدراسة في التركيب، وتضييق مجالها عند حدوده، دون الانفتاح على الخطاب ككل، وأما تحليل التحاور، فقد اقرّ بالبعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية، إضافة إلى اهتمامات التداولية بالاستعمالات اللغوية في السياقات التواصلية<sup>2</sup>.

وتتشترك هذه المتغيرات المعرفية في كونها تدعو إلى تجاوز اللسانيات الداخلية، إلى ما هو خارج عنها من أمور تتفاعل في عملية التّواصل، وبذلك توسّع مجال اللسانيات، وبعد العناية بالدلالة، بدأت العناية بالتداول، بجعله أساس النظريات اللسانية، لكنّ عملية إقحام التداولية في الدراسة اللسانية، ظلت غامضة، ويمكن إيجاز إشكالية دخول التداولية إلى اللسانيات، في طرح السؤالين التاليين:

1- كيف يمكن أن يتعالق منطقتان مختلفتان؟ منطقتان سكوني ثابت ومنطق متغيّر باستمرار؟ سلّمنا وإن بإمكانية توافقهما، فكيف يمكن التوفيق بينهما؟

2- كيف يمكن النظر إلى البنية اللسانية المنغلقة على ذاتها، مع اعتبار ما هو خارج عنها؟ وهو ما أدى ببعض اللسانيين إلى عدم قبول التداولية، دفاعاً عن المقاربة البنوية، وتمّ التشكيك في عدّ التداولية فرعاً من فروع اللسانيات، لكنّ التداولية أثبتت جديتها وغناها وواقعيتها، واستطاعت فرض مبادئها، وخاصة بالنسبة للمهتمين بدراسة المعنى والدلالة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 28، 29، 30.

<sup>2</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، ص 12-13.

<sup>3</sup> عبد العزيز بنعيش، لسانيات التواصل الإنساني من العبارة إلى القصد، مطبعة إنفورانت، فاس، ط 2، 2014، ص 21-22.

وهكذا أصبحت التداولية فرعاً من فروع اللسانيات، ومستوى هاماً للدراسة، بعد المستوى الدلالي، بل إنَّ الدلالة والتداول هما أهمّ مستويين في النماذج اللسانية المقترحة في الإطار الوظيفي، فهذه الأخيرة تركز في الأساس على مبادئ التداولية، أي الاستعمالات المختلفة في مجال التواصل، ولذلك اشرنا سابقاً إلى أنَّ الفكر اللساني توجّه نحو التواصل، وأصبحت النماذج اللسانية المرتكزة على مبادئ التداولية تفرد مستوى للتمثيل للخصائص التداولية، حيث تكون هذه الأخيرة محدّدة لخصائص التركيب الصرفية والتركيبية، ودخلت مصطلحات ومفاهيم التداولية الجهاز الواسف لهذه النظريات مثل الإحالة الاقتضاء والاستلزام الحواري، وغيرها، واستفادت هذه النظريات من مفاهيم التداولية وإجراءاتها في التحليل.

وإذا كان فلاسفة اللغة العادية اهتموا بظواهر مثل الإحالة والاقتضاء، والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري، فإنّهم لم يهتموا بالبنية الإخبارية للجملة، وأنواع العلاقات الإخبارية الكامنة بين مكوناتها، وهي العلاقات التي كانت محطّ بحث وعناية في الدرس اللساني، مثل العلاقات الدلالية (المنفذ، المتقبل، الأداة والعلاقات التركيبية (الفاعل، المفعول)، والعلاقات التداولية (المبتدأ، الذيل المنادي، المحور المعطى، البؤرة...)) وهكذا عولجت ظواهر تداولية في اللغات الطبيعية في الدرس اللساني، وسعت اللسانيات إلى إدراج ما كان يتناول في فلسفة اللغة العادية، في النموذج المضطّح بالتمثيل لخصائص اللغة المراد وصفها، وبعد إدراج المكوّن التداولي في نظرية الدلالة التوليدية، ظهرت نظريات حديثة ومعاصرة، بُنيت على مبادئ وظيفية تداولية، مثل نظرية النحو النسقي لهاليداي، ونظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك، هذه النظريات تنطلق من كون هذه المبادئ تحدّد إلى حد بعيد خصائص البنية الصرفية، والتركيبية<sup>1</sup>.

وبعد أن رُسمت التداولية على الخارطة اللسانية مع (لايكوف) في علم الدلالة التوليدي عام (1970) شهد الدرس اللساني توسعاً، وذلك من كونه فرعاً لمعرفة ضيقة تتعامل مع المعلومات والمعطيات المادية للكلام، إلى فرع لمعرفة شاملة تستغرق من الكلام الصورة، والدلالة، والسياق<sup>2</sup>. وبذلك غزت المفاهيم التداولية النماذج اللسانية لقدرتها على تفسير المعاني والمقاصد.

<sup>1</sup> احمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، من ص 32، إلى ص 47.

<sup>2</sup> جيفري لينش: مبادئ التداولية، ص 10.

ويعد هذا العرض الموجز لمراحل تطوّر التفكير اللساني، وبيان تغيّر النظرة إلى اللغة وأدوات تحليلها، نستنتج أن فلسفة اللسانيات تجاوزت اللغة إلى دراسة الكلام، وصار المجال الذي أُقصى لصعوبته وغموض معطياته، مقتحماً، بمساعدة آليات البحث التداولي، وهو ما أدى إلى بروز مناهج وظيفية تبحث في الأحداث الكلامية.

### المبحث الثاني: النظريات اللسانية الوظيفية.

يعد نشوء وتطوّر النظريات اللسانية الوظيفية بدءاً بنظرية الوجهة الوظيفية لماتثوس (Mathezus) ووصولاً إلى نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك داخلاً في سياق تطوّر الدرس اللساني ككل، وتغيير مساره من الدراسة الشكلية والصورية إلى الدراسات التي تولي الاستعمالات الكلامية أهمية بالغة.

وبذلك سارت النظريات الوظيفية جنباً إلى جنب مع المراحل التي قطعها اللسانيات الحديثة فقد انطلق التيار الوظيفي من حلقة براغ وواصل شق طريقه، وتوسع كثيراً في إطار انتقال الفكر اللساني من مرحلة الدوال، إلى مرحلة الدلالات، إلى مرحلة التداوليات.

فمن الاهتمام بالبنى الشكلية، وإقصاء المعاني الثانوية خلف هذه البنى، إلى الاهتمام بالمكوّن الدلالي، وإقحامه في النموذج اللساني، إلى نشوء نظريات تهتم بدراسة الكلام وتحليله، في إطار تيار يُعرف بإثنوغرافيا التواصل، على يد عالم اللسانيات الاجتماعية (ديل هايمز)، تموّعت النظريات الوظيفية في الدرس اللساني الحديث والمعاصر، مهتمة بتحليل وتفسير المعاني الدلالية والتداولية.

وفيما يخص تصنيف النظريات اللسانية، وإدراجها في صنف الوظيفية، فإنّ المكوّن التداولي يعد معياراً تصنيفياً رئيساً، حيث تفرد هذه النظريات مستوى للتمثيل للخصائص التداولية، فهناك نظريات لسانية نشأت وتطوّرت مهتمة بالوظيفة التواصلية للغة، لكنّها لم تفرد مستوى للتمثيل للخصائص التداولية، فالنظرية الوظيفية يجب أن تنطلق من وظيفة التواصل، لتصل في النهاية إلى تمثيل هذه الوظيفة بالشكل الذي ينعكس على المكوّنين الصرفي، والتركيب.

وهنا يظهر الفرق في تصنيف النحو بمعنى النظرية، إلى وظيفي، وغير وظيفي، فالمقصود بالنحو الوظيفي هو كونه النحو الذي لا يكتفي بإبراز الأدوار، والوظائف، التي تؤديها الكلمات في إطار التركيب، بل يتعدّى إبراز الوظائف البنوية، إلى الوظائف الدلالية والوظائف التداولية، ويترتب

عن هذا التميز إخراج نظرية (مارتينييه) "التركيب الوظيفي" من التصنيف الوظيفي، لعدم إفرادها مستوى للتمثيل للخصائص التداولية<sup>1</sup>.

فعلى الرغم من أنّ (اندري مارتينييه) من الرواد الذين نادوا بالوظيفية، وأكدوا على أداتية اللغة في التواصل الاجتماعي، إلا أنّ نظريته لم تبن على مبدأ تداول اللغة، بل ركزت على دور العناصر اللسانية في إطار التركيب، ولذلك يمكن تصنيفها كنظرية وظيفية بنويّة لأنها اهتمت بوظيفة اللغة في التواصل من جهة، ولأنّها لم تتجاوز الإطار البنوي في تحديد الوظائف التركيبية من جهة ثانية.

وهناك أعلام نادوا بمبادئ التداولية أمثال : (بنفيست فيرث ، وسابير)، لكنهم لم يقدّموا نماذج وظيفية، ولم يبنوا نظريات تربط بين اللغة ووظيفتها التّواصلية، تفرد مستوى للتمثيل للخصائص التداولية، مع الاعتراف بدور هؤلاء الأعلام في نشأة الاتجاه الوظيفي وتطوّره، وكانت أفكارهم الوظيفية محل استثمار في مراحل لاحقة، مثل أفكار ( فيرث ) التي طوّرت فيما بعد في نظرية وظيفية متكاملة، بحكم أنّ المعرفة عموماً تبنى على فعل التّراكم، وتأسيساً على الكلام السابق نقول إنّ « النحو الوظيفي شيء، وغير الوظيفي (الصوري) شيء آخر، والفصل بينهما أساسي، لأنّ الخلط بينهما يؤدّي إلى قياس تعميمي خاطئ، يجعل كل الأنحاء دون استثناء وظيفيّة»<sup>2</sup>.

وارتكازاً على الكلام السابق تكون النظريات التي سارت جنباً إلى جنب مع مراحل تطوّر الفكر اللساني عبر مراحلها السالفة الذكر نوعان، النوع الأول نظريات نشأت في إطار نظرية لسانية جاهزة المفاهيم، وهي النظريات التي انشقت عن التيار التوليدي التحويلي، ونقصد هنا نظريتنا (البراغمانتس، والتركيب الوظيفي)، والنوع الثاني نظريات بُنيت على أساس تداولي وظيفي، وتندرج ضمنه نظريات (الوجهة الوظيفية لمائوس، والنحو النسقي لهاليداي، والنحو الوظيفي لسيمون ديك ) ، ومن هذه النظريات ما توقف كنظرية الوجهة الوظيفية، ومنها ما هو بصدد تطوير نماذج باستمرار، كنظرية النحو الوظيفي ويتم فيما يلي من الصفحات عرض مبادئ وأسس هذه النظريات بشيء من الإيجاز، مع التركيز على الجوانب التي تخدم البحث.

<sup>1</sup> يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفيّة للنحو العربي، مرجع سابق ، ص42.

<sup>2</sup> يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفيّة للنحو العربي، مرجع سابق ، ص42..

وهي نظرية قد توقفت، لكنّه سيتم عرض أهم مبادئها، وأسسها وهي مبادئ تدخل في صميم الوظيفية، إذ تعدّ نظرية الوجهة الوظيفية «مدرسة بمعنى الكلمة، سواء من حيث شمولها للمستويات اللغوية المختلفة، أو من حيث اتساع دائرتها عبر حيز الزمان والمكان»<sup>1</sup>.

### 1. نظرية الوجهة الوظيفية:

وتعرف هذه النظرية برمز ( F.S.P ) وهي اختصار لعبارة (المنظور الوظيفي للجملة)، أو (الوجهة الوصفية للجملة) - (Fonctional sentence perspective)، وتتسب إلى العالم التشيكي (ماثيوس 1882-1945)، الذي قدّم نموذجاً وظيفياً، إذ «أحد النماذج الواضحة للتفسير الوظيفي في عمل (ماثيوس) الخاص يتضمن استخدامه للمصطلح المترجم بالموضوع (theme)، والمحمول (rheme) ، والمفهوم الذي أصبح يدعى منظور الجملة الوظيفية، بواسطة الكتاب المحدثين العاملين حسب تقاليد مدرسة براغ»<sup>2</sup>.

ويعدّ (ماثيوس) من مؤسسي حلقة براغ، في الثلاثينيات من القرن الماضي، وبالضبط في سنة (1926)، وهي المدرسة التي دعت إلى دراسة اللغة وفق منهج جديد، مفاده النظرة إلى اللغة ككلّ على أنّها تعمل لخدمة الهدف الذي تستعمل لأجله، ولهذا يجب دراسة وتحليل اللغة بالشكل الذي يبيّن الوظائف التي تقوم بها المكونات البنوية<sup>3</sup>.

ولهذا السبب، فإنّ التوجّه العام لمدرسة براغ وظيفي بنيوي كما سبق القول، لأنّها تهدف إلى الكشف عن وظائف البنى، أو الوظائف التي تؤدّيها العناصر اللغوية في إطار التركيب، غير أنّ نظرية الوجهة الوظيفية للجملة، ذات توجّه وظيفي حق، حيث قسم (ماثيوس) الجملة إلى قسمين اثنين، هما الموضوع والمحمول، وبدلّ الموضوع على ما يعلمه السامع، لأنه نوقش سابقاً في نقاشات ما غالباً، وبدلّ المحمول على المعلومة، أو الحقيقة الجديدة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 44.

<sup>2</sup> جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، الصراع، والتطوّر، تر: نعيم كراعين، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1993، ص 107.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 106.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 107.

ويسبق الموضوع المحمول عادة، فغالبا ما يبدأ المتكلم عملية الكلام من المعلومة التي يعرفها السامع، ثم يتبع ذلك بذكره نواة الكلام، وهي المعلومة التي تمثل المعطى الجديد أو الخبر الذي يجله السامع.<sup>1</sup>

وهذا الترتيب هو المعتمد في تركيب الجملة، حيث يكون نسق الجملة محايدا، والنسق المحايد هو التركيب المألوف لمكونات الجملة في الاستخدام العادي، أي الاستخدام الذي يُقصد من ورائه مجرد الإخبار، أما عند محاولة لفت انتباه السامع، أو التركيز على عنصر معين أو إبراز نظرة المتكلم للحدث، فإن هذا التركيب يُخرق، والهدف من هذا التركيب الوظيفي الذي اقترحه (ماثيوس) هو تسهيل إدراك البنية العميقة للجملة، وبلورة أبعادها الدلالية، وشرح الاختلافات البنوية بين مختلف الجمل، كبنية الجمل المبنية للمجهول في الإنجليزية، مقارنة باللغات الأخرى<sup>2</sup>. فوظيفة المبنى للمعلوم تختلف عن وظيفة المبنى للمجهول، وبالتالي يختلف ترتيب الموضوع والمحمول بين الجملة المبنية للمجهول، والجملة المبنية للمعلوم، ففي الصيغ المبنية للمجهول يتقدم المفعول الذي كان محمولا في الصيغ المبنية للمعلوم، وتعبه وظيفة الفاعل الذي كان موضوعا في الصيغة المبنية للمعلوم، ليؤدي وظيفة المفعول.<sup>3</sup>

وطور (ماثيوس) منظور الجملة الوظيفي، وطبقه على لغته التشيكية، وعلى اللغة الإنجليزية، ويمكن اختصار هذا المنظور الوظيفي للجملة في اللغات جميعها، يأتيه التركيب المفرداتي حسب المضمون الإخباري للجملة، وكيفية تنظيم المعلومات.<sup>4</sup>

وطور (دانيش Danis) أفكار (ماثيوس)، واقترح مقارنة تميز بين مستويات ثلاثة للتحليل، مستوى دلالي يتضمن الجملة (الحدث)، والمشاركين في الحدث ومن أهم المشاركين المشارك "المنفذ" والمشارك "المتقبل" أو الهدف، ومستوى تركيب (نحوي)، إذ تعد هذه العناصر: المنفذ، الحدث، المتقبل فاعلا وفعلا ومفعولا على التوالي، ومستوى وظيفي، وهو مستوى تنظيم مكونات الجملة إلى مكونين

<sup>1</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 50.

<sup>2</sup> أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور، ص 140.

<sup>3</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 51.

<sup>4</sup> يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويتية، المجلد العشرون العدد الثالث، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، 1989، ص 76.

رئيسيين، وهما مكون "المحور"، وهو ما يشكل محطّ الحدث، ومكون "التعليق" ويشكّل الحدث في حدّ ذاته.<sup>1</sup>

وعليه، فإنّ (دانيش) يعرف الموضوع والمحمول تعريفاً تداولياً، على أساس أنّ الموضوع يشكّل المعلومة السابقة التي يتقاسمها المتكلم، والسامع، أما المحمول فيشكل المكوّن أو العنصر الحدث، وبالتالي فهو المعلومة الجديدة، أو الحامل لنبر الجملة.<sup>2</sup>

أما (فريباس J. Firbas) فقد أضاف إلى الجملة باعتبار تقسيمها إلى موضوع ومحمول، عنصر "الحركة التبليغيّة"، أو "الدينامية الاتصالية"، وهي خاصية من خصائص التواصل في سياق معلومات يراد التعبير عنها.<sup>3</sup>

ويقصد بالديناميّة التّواصلية، التي أضافها (فريباس)، كميزة خطابية، مدى إسهام المكوّنات في الحوار، وتقدّمه وتطوّره، ومن هنا فريباس. شأنه شأن لغويّ براغ. كان يهتم بالكشف عن الكيفية التي تزوّد بها اللغة المتكلم بعدد من الأساليب والطرائق التعبيرية التي تلائم السياقات التواصلية.<sup>4</sup>

وبصفة عامة، فعند الحديث عن الدينامية الاتصالية لمكونات الجملة حسب (فريباس)، فإنّ المعلومات الجديدة تأخذ حركة، تبليغيّة، وبما أنّ المكوّنات التي تحمل المعلومات المتقاسمة تتقدّم على تلك التي تحمل المعلومات الجديدة في تركيب الجمل، فإنّ بداية الجملة تحصل على حركة تبليغيّة أقلّ من تلك التي تترتب في نهاية الجمل، وبذلك فإنّ الدّرجة التبليغيّة تقوى كلّما تأخر المكون في الجملة.<sup>5</sup>

واقترح (دانيش) تعريفاً لكلّ من المحور والتعليق، فالمحور هو المكوّن الذي يحمل الحدث، فهو الحامل للمعلومات السياقيّة، أمّا التّعليق فهو المكون الحامل للمعلومات الجديدة أو نبر الجملة.<sup>6</sup>

وفيما يخصّ التعليق بين المستويات اللّغويّة الثلاثة، فإنّ لغويّ براغ يجمعون على أنّه لكلّ مستوى دور يقوم به في بنية الجملة، غير أنّ المستوى الوظيفي له الدور الرئيس في هذا التحديد،

<sup>1</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 117.

<sup>2</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، ص 52.

<sup>3</sup> يحيى احمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مرجع سابق، ص 77.

<sup>4</sup> يحيى احمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 77.

<sup>5</sup> احمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 118.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 119.



فالتركيب الأساسي في الجملة هو الأيل إلى المحور، والتعليق يكون على النحو: (محور، تعليق) وعلى هذا الأساس اقترح (دانيش) تعديلاً نحوياً للجملة، ينطلق من البنية الوظيفية وليس من البنية التركيبية.<sup>1</sup>

وبهذا، نلاحظ البعد التداولي في تأسيس هذه النظرية وفي تطويرها، حتى غدت نظرية تجعل من المستوى التداولي هو المستوى الأساس في تحليل الكلام، على حساب المستوى التركيبي، فالنحو مرتبط بالدلالة، والتداول في هذه النظرية.

## 2 - النظرية النسقية:

نشأت هذه النظرية في إنجلترا، ومعروف عن هذه الأخيرة أنها بلد الدراسات الصوتية والتركيبية، وبرز في مجال النحو، اللساني (فيرث) صاحب النظرية النظامية (القواعد النظامية) التي ظهرت في سياق الدعوة إلى دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي.

وقد واصل بناء هذه النظرية وتطويرها جيل من النحويين الجدد، يعرفون باسم (الفيرثيون الجدد Neo-Firthingians)، الذين قاموا بما رفض (فيرث) القيام به وهو بناء نظرية لسانية واحدة، ومن هؤلاء الفيرثيين الجدد (هاليداي) و(هيدسون Hidson).

وتعدّ نظرية النحو النسقي لهاليداي امتداداً لنظرية القواعد النظامية (نظرية السياق) لفيرث، والذي بذل جهداً كبيراً في تطوير اللسانيات الإنجليزية، وقد حظيت نظريته باهتمام كبير من طرف المختصين في المجال اللغوي، لاشتغاله على المكوّن الاجتماعي ودوره في تحليل الظاهرة اللغوية<sup>2</sup>، وترتكز النظرية النسقية لها يليداي على مفاهيم ثلاثة هي: مفهوم الوظيفة، ومفهوم النسق، ومفهوم البنية.

### \* مفهوم الوظيفة:

بني النحو النسقي على تعدّد الوظائف اللغوية، وهذا المبدأ يعكس بناء النظام النحوي، فكلّ تركيب يؤدي وظيفة معيّنة، وهذا يعني أنّ مستعمل اللغة له من الوسائل اللغوية، والخيارات

<sup>1</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 73.

<sup>2</sup> أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 186.

(الاستعمالات الفعلية للغة في التّواصل، ما يمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره بكيفيات متعدّدة، وتمثّل هذه الإمكانيات الخصائص التي تتميز بها كلّ لغة.

ومعروف أن الاتجاه الوظيفي ككل، اهتم بوصف وظائف اللغة، ومعروف تصنيف (جاك أوبسن) الوظائف إلى ست، وتصنيف (هاليداي) الوظائف إلى ثلاث، هي:<sup>1</sup>

\* **الوظيفة التمثيلية** : وتعبّر هذه الوظيفة عن الواقع (داخلي أو خارجي).

\* **الوظيفة التعالقية** : تعبّر هذه الوظيفة عن موقع المتكلم من المخاطب، (متيقن، محتمل، مشكك..)، كما تعبّر عن موقف المتكلم من محتوى أو فحوى الحديث

\* **الوظيفة النصية** : وتمكّن هذه الوظيفة من تنظيم الخطاب وفق مقتضيات السياق التواصلية، وتعمل على نقل الخطاب من كونه مجموعة من الأجزاء، إلى نص متكامل، إذن هذه الوظائف الثلاث التي حددها (هاليداي) هي التي تمكّن المتكلم من إنجاز خطاب ما، والتلفظ به في سياق تواصلية معين، أي التلفظ بنسق لغوي ما، ولذلك فإنّ المفهوم الثاني الذي تركز عليه هذه النظرية، هو مفهوم النّسق.

\* **مفهوم النّسق** : اللغة نسق عام يتشكّل من أنساق فرعية، وهي ثلاثة أنساق تقابل الوظائف، الثلاث المذكورة سابقا، حيث يقابل نسق التعدية الوظيفة التمثيلية، ويقابل نسق الصيغة الوظيفة التعالقية، ويقابل نسق المحور الوظيفة النصية، ويمكن توضيح هذه الأنساق الثلاثة على النحو التالي:<sup>2</sup>

\* **نسق التعدية** : تقوم اللغة بوصفها تعبيراً عن الحدث على مفاهيم دلالية، كالحدث والمشاركين فيه، ومن أهم المشاركين المشارك (المنفّذ) وهو الذات المحدث للحدث، والمشارك (المتقبل) وهو الذات محطّ الحدث، وظروف الحدث كالظرف المكاني، وظرف الأداة.

\* **نسق الصيغة** :

حيث تتضمن الجملة بالنظر إلى نسق الصيغة: صيغة، قضية، وجهة، فالصيغة إما أن تكون صيغة تدليل وإما أن تكون صيغة أمر، وفي كلتا الحالتين هي صيغة إثبات، وقد تكون صيغة نفي، أما

<sup>1</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 121، 122.

<sup>2</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، من ص 121، إلى ص 124.

القضية فتتكوّن من (محمول) و (فاعل) و (فضلة)، و (توابع)، وهذه المكونات تطابق الحدث الكلامي ، والمنفّذ ، والمتقبل ، والظرف ، على التوالي.

\* نسق المحور:

وهو من العناصر المنظمة وفقا للموقف التواصلّي، يمكن أن تتجز فيه محورا دالّا على محطّ الحدث، كما يتضمّن بالنسبة إلى حمولتها التي تحملها مكوّن (معطى)، ومكون (جديد) فالمعطى يتمثل في المعلومات التي يمكن استمدادها من السياق، أما مكوّن الجديد فيتمثل في المعلومات التي لا يمكن استمدادها من السياق.

\* مفهوم البنية: (بنية النحو النسقي)

تقوم بنية النحو النسقي حسب (هاليداي) على تصوّر مفاده أنّ النحو يرتبط بنظرية عامة للسلوك الاجتماعي والتفاعل البشري داخل المجتمعات، مع الحفاظ على استقلاليتها، ويتضمن هذا السلوك الاجتماعي مجموعة من الأنظمة اللغوية أو الأحداث الكلامية، وتتمثل في أنظمة ثلاثة، يُعبّر عنها بوظائف ثلاث، وهي : وظيفة التمثيل للواقع، ووظيفة التعالق بين المشاركين في الحدث، ووظيفة تنظيم الخطاب وفق مقتضيات السياق التواصلّي، وتتألف من ثلاثة انساق، تعتبر وسائل لتأدية هذه الوظائف، والتي تتحقق جميعها في بنية نحوية واحدة، فالوظائف تنتمي إلى المجال غير اللغوي لكنّها تتحقق في بنية نحوية تعكسها، ومن ثمة، فالوظائف ليست مفاهيم نحوية بل مفاهيم اجتماعية تعكسها الأنساق اللغوية الثلاثة التي تشكل بنية النحو.<sup>1</sup>

وعليه، فالنحو الذي اقترحه (هاليداي)، يقوم على تصنيف الوظائف الرئيسية للغة ضمن نظام نحوي تركيبّي للاستعمالات الكلامية في المقامات التواصلية، فهو عبارة عن مجموعة من العلاقات المتداخلة والمتشابكة، لأنّه مبني على تعدّد الوظائف.<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس، فإن النحو النسقي ينطلق من المكوّن الاجتماعي الذي هو خارج عن مجال اللغة، والتمثل في وظائف اللغة التي صنّفها إلى ثلاث، وما النسق اللغوي العام الذي يضم الأنساق الفرعية

<sup>1</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، من ص 124، إلى ص 136.

<sup>2</sup> يحيى احمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة. ص : 80 .

إلا تجسيدا لهذه الوظائف، ووسيلة لتأديتها وتحقيقها كحدث لغوي يتجسد عن طريق اللفظ، ومن ثمة، فالمنطلق وظيفي تداولي بحت، وهو المكوّن الأساسي الدافع إلى عملية التلفظ بالنسق اللغوي.

### 3. النظريات الوظيفية داخل الإطار التوليدي التحويلي:

لقد سبقت الإشارة إلى كون النظريات اللسانية الوظيفية صنفان، صنف بني على مبادئ الدلالة والتداول، وصنف نشأ داخل الإطار التوليدي التحويلي، بعد الانتقادات التي وُجّهت للتوجه التوليدي حتى من داخل النظرية ذاتها، لتركيزه على التركيب وإقصائه المعنى، « فلم تكن هذه النظريات ذات توجه وظيفي في الأساس، وإنما نشأت ضمن نموذج صوري جاهز، مبني على خلفيات فلسفية معينة تبحث في ملكة عقلية آلتها التركيب، لكننا سنعرضها وندرجها ضمن النظريات الوظيفية، وإن لم تبني على التراكم المعرفي الوظيفي، فقد سعت إلى إدراج المكوّن التداولي في نماذجها التي صيغت للوصف، ويندرج النحو التوليدي في إطار معرفي شامل شهد تطور العديد من العلوم المعرفية آنذاك، كعلم النفس المعرفي واللغوي، ولذلك مثل هذا النحو نقطة تحوّل هامة في مسار الدراسة اللسانية.<sup>1</sup> »

ولم تكن نظرية (تشومسكي) في بداية ظهورها على هذا النحو الذي وجّه إليها الأنظار، تعني بالجوانب التداولية الوظيفية، « ولم تعر المعنى أي اهتمام، لأنّ همها الوحيد كان دراسة التركيب اللغوي بوصفه السبيل والأداة التي تمكّن الدراسة اللسانية من وصف وتفسير الكفاية النحوية الصرف، أمّا الدلالة والتداول (المعنى) فلم يكونا محلّ دراسة، لأنهما يدخلان في الإنجاز الذي تتداخل فيه أمور خارجة عن اللغة، والتركيب النحوي موضوع الوصف التوليدي التحويلي، هو نسق معرفي مستقل لا تشوبه هذه الأمور غير اللغوية، الاجتماعية والثقافية، ولهذا السبب أبدت ملاحظات حول هذه النظرية لأنها بعيدة عن الواقع اللغوي بأبعاده الاجتماعية والثقافية، ولأنها نظرية مثالية وتجريدية في مفاهيمها، وأهم مفهوم على الإطلاق هو مفهوم الكفاية،<sup>2</sup> فتعالت الصيحات المحتجة على هذا النوع من اللسانيات العقلية، التي تتداخل في مفاهيمها مع علم النفس، لأنّ (تشومسكي) في سعيه الحثيث للكشف عن وجود ملكة فطرية ذهنية عند الإنسان، لم يجد من بديل سوى اتخاذ النحو العقلي وسيلة وأداة لذلك، انطلاقاً من كون اللغة أداة الفكر.

يحيى احمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، ص 81 .<sup>1</sup>

المرجع نفسه ، ص 82 .<sup>2</sup>

لكن هذه النظرية بدأت في نهاية الخمسينات، وبداية الستينات، تتراجع تدريجياً، ولم يكن هذا التراجع عن المنطلقات الفكرية، وإنما بدأ التفكير في إدراج المكوّن التداولي في النموذج النحوي؛ أي إنّه لم يتم التراجع عن الإطار المنهجي العام للتوجّه التوليدي التحويلي، وإنما بدأ التوجه نحو دراسة المعنى والاهتمام به في مرحلة هامة من مراحل الدرس اللساني، أطلقنا عليها سابقاً مصطلح (مرحلة الدلالات).

« ويرجع سبب النزوع إلى دراسة المعنى في الإطار التوليدي التحويلي إلى التأثير بأفكار مدرسة براغ الوظيفية، من خلال أحد أقطابها البارزين، ألا وهو (جاك أوبسن)، الذي يمثل أحد حلقات التواصل بين اللسانيات الأوروبية، وبين اللسانيات الأمريكية، حيث عملت أفكاره على التغيير الجذري في تاريخ اللسانيات كما يرى (سامسيون)<sup>1</sup>، وذلك بانتقاله إلى أمريكا في فترة ما بين الحربين العالميتين، وبالضبط عام (1941)، حيث درس بالمدرسة الحرّة للدراسات العليا بنيويورك، كموطن أوروبي لاجئ، ما بين سنتي (1943-1946)، وكان له الفضل الكبير في تأسيس نادي "نيويورك اللساني" <sup>2</sup>، وبذلك سادت أفكار لسانية وظيفية في الدراسات اللسانية الأمريكية.

وفي الفترة اللاحقة، وبالضبط في السبعينات، ساد نوعان من الاتجاهات اللسانية، واشتدّ الصراع بينهما (الاتجاه الوظيفي، والاتجاه الصوري)، وتؤدي بضرورة العناية بالأفكار الوظيفية، وتعرض الاتجاه التوليدي للانتقاد من داخله وخارجه، مما أدى إلى احتدام الصراع بين التوجهين، الصوري والوظيفي، ودفع ذلك بعض اللغويين في بداية السبعينات، وبالضبط في سنة (1972) إلى محاولة التخفيف من حدة الصراع، وأبرزهم (سيغال Segall) و(هيل Hill) و (كونتروس Kontras)، وقد حاول هؤلاء التوفيق بين مبادئ النظرية التوليدية التحويلية، وبين مبادئ الوجهة الوظيفية، وأدى هذا الصراع إلى إفرار نوعين من النظريات في نهاية السبعينات، نظريات ذات مبادئ وظيفية تداولية كنظرية الوجهة الوظيفية، ونظرية النحو الوظيفي، ونظريات توليدية وظيفية، وهي: نظرية "البراغمانتس" ونظرية "التركيب الوظيفي".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جيفري سامبسون : المدارس اللغوية، الصراع والتطور، ص 122.

<sup>2</sup> احمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 146.

<sup>3</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 58-59.

وأما نظرية البراغمانتس؛ فتدرج ضمن الإطار التوليدي التحويلي (النموذج) المعروف باسم (الدلالة التوليدية، هذه الأخيرة التي يركز جهاز نحوها الوصف على مبدئين اثنين هما:

1 - مبدأ عدم استقلالية البنية عن التركيب.

2- مبدأ اعتبار البنية الدلالية بنية أصلية، ويُمثل للخصائص التركيبية، والخصائص الدلالية المنطقية في بنية تحتية واحدة، وطبقاً لمنطق المحمولات، تتشكّل من محمول (اسمي، أو فعلي، أو وصفي... يربط بين عدد معين من الموضوعات.<sup>1</sup>

وعليه، فإنّ هذه النظرية تؤمن بوجود بنية تحتية واحدة هي بنية تركيبية، ودلالية منطقية، وبالتالي تم دمج عنصر الدلالة في بنية النحو، وتم النّظر إليها على أنها غير مستقلة عن التركيب، لكنّ هذه الدلالة، دلالة صورية منطقية، يتم التمثيل لها في بنية تحتية للاشتقاق، ويُنظر إلى المحمولات في نظرية البراغمانتس، على أنّها وحدات معجمية تركيبية، ويتم التمثيل لها في البنية التحتية، في شكل وحدات دلالية أولى، فالبنية الدلالية بنية منطقية تحتية لا تتفصل عن التركيب، تُطبق عليها قواعد إدماج المحمولات، أي الإدماج المعجمي الذي يعوّض المحمول المركب بالمفردة الملائمة، وينتج عن هذه القواعد بنية سطحية، بواسطة القواعد الصوتية، كقواعد تكوين الفاعل، وبعد تطبيق كل هذه القواعد والتحويلات، نحصل على الكلام كمنجز فعلي.

والملاحظ على نموذج البراغمانتس، بخلاف النماذج الدلالية التوليدية الأخرى، أنّه لا يحتوي على المكوّن الدلالي، لأنّه يعد جزءاً من البنية التداولية، وتم إغناء هذه البنية بالمفاهيم التداولية، كالاقتضاء والفعل الكلامي والقوة الإنجازية، والبؤرة، وغير ذلك، ومن رواد هذه النظرية (لايكوف، جوردان Garden، وغرين Green، وصادوك Sadok).<sup>2</sup>

وأما نظرية "التركيبات الوظيفية؛ فصاغها (كانو Kano)، الذي يعرف اللسانيات الوظيفية بأنّها مقارنة لتحليل البنية اللغوية، تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية، بالإضافة إلى العلاقات البنوية القائمة بينها، وهو يرى أنّ نظريته لا ترتبط بنموذج معين في نظرية النحو التوليدي التحويلي، كنموذج المعيار الموسع، أو النّحو العلاقي، أو نحو الطبقات، بل يجب أن يفرد كلّ نموذج مستوى للتمثيل

<sup>1</sup> احمد مومن: اللسانيات النّشأة والتطور، ص 151 152.

<sup>2</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، من ص 101، إلى ص 113.

للقیود الوظيفية الضابطة لسلامة الجمل أو السلاسل الجمالية، بالإضافة إلى المكونات التركيبية، فكل نحوي نظرة تسعى إلى أن تفيد من المنظور الوظيفي في تحليل الظواهر اللغوية التركيبية، وبذلك يدعو (كونو) إلى بناء نموذج توليدي، عن طريق إدماج مجموعة من القواعد والقيود التي ترتبط بالوظيفة التواصلية، ومن هذه القيود والمفاهيم الوظيفية: المعلومة الجديدة (غير الواردة في السياق، والمعلومة القديمة الواردة في السياق)، والبؤرة (العنصر الحامل للمعلومة)<sup>1</sup>. ويرى (المتوكل) أنّ النموذجين يفتقران إلى الكفاية النفسية لقيامهما على مبدأ التحويل<sup>2</sup>، فالنموذجان يتّسمان بالتجريد.

#### 4. نظرية النحو الوظيفي:

تعدّ نظرية النحو الوظيفي أقوى النظريات الوظيفية، وأوسعها انتشاراً، وأكثرها غنى بالمفاهيم التداولية، والنماذج المقترحة، وأكثرها غنى بالمرجعيات المعرفية، ولها عدة نماذج وصيغ، ولهذه الأسباب مجتمعة معاً، سيتم عرض نظرية النحو الوظيفي بشيء من التفصيل، لأنها تمثل النموذج الوظيفي الحق، في منطلقاتها المعرفية، ومبادئها المنهجية، وآلياتها التفسيرية تعدّ نظرية النحو الوظيفي من أقوى النظريات التي أسست على مبادئ الفلسفة التداولية، وظهرت هذه النظرية عام (1978) على يد العالم الهولندي (سيمون ديك)، الذي أسس مبادئها في كتابه (Fonctional Grammar) ، ونكاد اليوم عندما نذكر اللسانيات الوظيفية، أن نجزم أنها نظرية النحو الوظيفي، وكأنّ الاتجاه الوظيفي كلّهُ يمكن اختصاره في هذه النظرية.

ولعلّ الفرق بين نظرية النحو الوظيفي، وبين النظريات الوظيفية الأخرى، هو استناد نظرية النحو الوظيفي إلى المنطق في إبراز الوظيفة التواصلية، بخلاف النظريات السابقة الذكر، التي تستند إلى مفاهيم ومصطلحات دلالية، لتدلّ دلالة مباشرة على وظيفة الجملة، فالوظيفة الذهنية لم تستوقف هؤلاء الوظيفيين، أما النحو الوظيفي فيعتمد بالأساس على التطبيق المنطقي.<sup>3</sup>

وعليه، يمكن القول إنّ نظرية النحو الوظيفي تجمع بين الجانبين الوظيفي، والمنطقي، وهي تنطلق في الأساس من الوظيفة التواصلية، وتستعمل المنطق لإثبات وتفسير هذه الوظيفة، إذ لم تكتف

<sup>1</sup> احمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، من ص 113 إلى ص115.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 116.

<sup>3</sup> يحيى احمد : الاتجاه الوظيفي، ودوره في تحليل اللغة، ص 95.

بعرض مبادئها الوظيفية وشرحها فحسب، بل سعت إلى إثبات وظيفة اللغة عن طريق الصورة المنطقية.

لكننا نقول عموماً، إنه بالرغم من التباين الحاصل بين النظريات اللسانية الوظيفية حتى داخل النموذج الواحد، والتطور السريع والتكاثر الحاصل لنماذجها، فإنه تجمعها مبادئ عامة تنطلق منها، وأهمها مبدأ الوظيفة كميّار ومبدأ أساس للوصف والتفسير اللغويين، وعلى هذا الأساس ينظر إلى التركيب، والدلالة من منظور تداولي، وتتخذ الكفاية التواصلية للمتكلم المخاطب موضوعاً لها، وبالتالي فإنه تسعى إلى بناء نماذج تصف وتفسّر هذه الكفاية، محققة الكفائتين النفسية والتداولية، إضافة إلى الكفاية النمطية.<sup>1</sup>

يهدف النحو الوظيفي إلى دراسة الكفاية التواصلية، أي إنه يسعى إلى الكشف عن الكيفية التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنجاز خطابات معيّنة، في مواقف تواصلية، لأداء أغراض بعينها، فهو يهتم بالخصائص اللغوية (الصوتية، والتركيبية، والدلالية)، وإضافة إلى اهتمامه بها، فهو ينظر إليها من منظور تداولي، أي الكيفية التي تُستعمل فيها البنية اللغوية، وأغراضها ووجهتها التواصلية، وهكذا، فإنّ النحو الوظيفي يسعى إلى أن يكون نظرية شاملة.

تتميّز نظرية النحو الوظيفي - في مقابل النظريات اللسانية الأخرى - بالغنى المرجعي، إذ تتفتح على مجالات عديدة كإثنوغرافيا التواصل، ونظرية التواصل والإخبار، والتداولية، والدلالة، والمنطق، ولسانيات النص، وتحليل الخطاب، مما جعل هذه النظرية محط أنظار الدارسين، لتكاملها، وثنائها المرجعي، واستقلاليتها عن النظريات الأخرى، بالشكل الذي جعلها مشروعاً متكاملًا وطموحاً وثريراً، ويعد نموذج (سيمون ديك) "النواة" أول نموذج لنظرية النحو الوظيفي، وقد ظهر سنة (1978)، في كتابه "النحو الوظيفي"، وكلّ النماذج التي أتت بعده تنطلق منه، وتسعى إلى تطويره بغرض بناء نحو كاف تداولياً ونفسياً ونمطياً، وبذلك فإنّ النماذج التي طوّرت نموذج النواة لسيمون ديك، كانت تستفيد من التصوّر الشامل لهذا النموذج، فالتطوّر طال البنية الإجرائية لهذا النحو، دون أن يطال المبادئ الأساسية التي قام عليها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> احمد المتوكل : في تفصيل مبادئ النحو الوظيفي، ص : 141 .

<sup>2</sup> محمد الحسن مليطان: نظرية النحو الوظيفي، الأسس، والنماذج، والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط 2، 2014، ص



ونموذج (النواة)، هو نموذج لنحو الجملة<sup>1</sup>، أما النماذج التي أتت بعده لتطويره، فهي نماذج لنحو الخطاب، وذلك بالموازاة مع التطور الحاصل في التحليل اللساني، من اتخاذ الجملة وحدة لهذا التحليل، إلى اتخاذ الخطاب ككل وحدة بديلة له.

ويتكون نموذج النواة من أربعة مكونات هي : الخزينة، وقواعد بناء الوظائف، وقواعد بناء التعبير، والقواعد الصوتية، ويأتي ترتيبها على هذا النحو، وفق آلية اشتغالها، ويمكن شرح وتوضيح آلية اشتغال هذه المكونات بأن الخزينة تتشكل من معجم قواعد الأصول، وقواعد تكوين المفردات المسؤولة عن اشتقاق المفردات الفروع، كأفعال المطاوعة، وأسماء الفاعلين، وغيرها، وتشكل البنية التحتية دخلا لتحديد الخصائص الدلالية المؤشر لها عن طريق سمات ووظائف دلالية، ويتم نقل الجملة عن طريق البنية الوظيفية التامة، التحديد بواسطة إسناد الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول، والوظيفتين التداوليتين المحور، والبؤرة، وهذه البنية الوظيفية تتخذ دخلا لقواعد التعبير، وهي مجموعة القواعد المسؤولة عن الصيغة الصرفية كالرتبة، ويتخذ خرج قواعد التعبير شكل بنية مكونة تنتقل عن طريق القواعد الصوتية إلى تأويل صوتي للعبارة اللغوية.<sup>2</sup>

فالجملة في هذا النموذج تشتق من بنية تحتية ترتكز بدورها على خزينة معجمية، وفي هذه البنية التحتية يتم إسناد القواعد التركيبية، والوظائف التداولية، وإخضاعها لقواعد التعبير والصياغة الصرفية، والتركيبية، ليتم نطق العبارة اللغوية في نهاية الأمر، عن طريق الأصوات، وبهذا نلاحظ علاقة تلازمية وطيدة بين قواعد التركيب، وبين قواعد التداول والوظائف التعبيرية، التي تعدّ قواعد أساس في هذا النموذج، فهذه الأخيرة هي منطلق إسناد الوظائف، وقواعد التعبير فقواعد النطق الصوتي، هي التي تحدّد نوع التركيب وخصائصه اللغوية، أي إنه يتم تركيب العبارة صرفياً، ونحوياً، حسب الأغراض التي بود المتكلم التعبير عنها، والوظائف التي يرغب في تأديتها.

ولقد اقترح (سيمون ديك) نموذجا آخر بعد نموذج (النواة)، وذلك سنة (1984)، أطلق عليه تسمية النموذج (المعيار)، وذلك سعياً إلى تحقيق الكفاية التداولية، بناءً على أنّ التّواصل لا يتم عن طريق توظيف المعرفة اللغوية المحضة، بل عن طريق توظيف أنواع أخرى من المعارف غير اللغوية، فالكفاية التّواصلية كفاية شاملة، تضم الكفاية النّحوية (اللغوية)، إضافة إلى كفايات أخرى، فالمتكلم

<sup>1</sup> يحيى بعبطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 125.

<sup>2</sup> احمد المتوكل : في تفصيل مبادئ النحو الوظيفي، ص : 142 .

ومخاطبه لا يعتمدان للتعبير عن غرض تواصلية ما، على المعرفة النحوية فحسب، بل يقومان بتوظيف موارد خارجة عن مجال اللغة ونموذج (المعيار) نموذج لمستعمل اللغة الطبيعية، يوضح الملكات الأربع التي نستخدمها في عملية التواصل، وهذه الملكات يُمثل لها بأربعة قوالب ، وهي :  
 القالب المنطقي، القالب المعرفي، القالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي، وهذه القوالب تتفاعل فيما بينها، إضافة إلى تفاعلها مع القالب الأساس الذي يكون قلب الكفاية التواصلية، ألا وهو القالب النحوي، وبالتالي يتشكل هذا النموذج من خمسة قوالب ، أما كيفية اشتغالها ، فقد تُشغل جميعها، كما يحدث في عملية تحليل الظواهر الفنية، وقد يتم تفعيل بعضها فقط، كما يحدث في عملية التواصل العادي في المجتمع.<sup>1</sup>

ويكمن الفرق بين نموذج (المعيار)، وبين نموذج (النواة)، في إضافة وظائف تداولية جديدة إلى نموذج (المعيار) ، فنموذج (النواة) كان يتكوّن من أربع وظائف تداولية، اثنتان داخليتان وهما (المحور ، والبؤرة)، واثنتان خارجيتان هما (المبتدأ) والذيل ، وبسبب عدم كفاية هذه الوظائف في نموذج النواة، أُضيف إلى (المعيار) في الوظيفتين الداخليتين (المحور، والبؤرة) وظائف فرعية، فعن وظيفة المحور تنفّج الوظائف (محور معطى، ومحور معاد، ومحور جديد)، وعن وظيفة البؤرة تفرّعت الوظائف (بؤرة الجديد، وبؤرة تعويض، وبؤرة قصد، وأما الوظائف التداولية الخارجية فأضيف إليها وظائف أخرى على أساس دورها في عملية تنظيم الخطاب، وهي: ( فواتيح، نواقل، حوافظ، وخواتيم ).<sup>2</sup>

وأصبح لهذا النموذج سمات تداولية، كالقوة الإنجازية، لكن هذه الإضافات التداولية من وظائف وسمات، لم تغير في المبادئ العامة لنموذج النواة، وإن أصبحت البنية التحتية تامة التحديد من حيث الدلالة، والتداول، كما أنّ هذا النموذج الموسّع فيه، هو نموذج للخطاب، وليس نموذجاً للجملة مثل نموذج النواة.

وبعد نمودجي المعيار، والنواة، ظهرت نماذج وظيفية أخرى، في إطار النظرية ذاتها، حاولت التطوير، وسنذكر في هذا المجال نماذج لسانية عربية، ونماذج غربية، ففي المجال اللساني العربي، قام (احمد المتوكّل) بإدخال نظرية النحو الوظيفي إلى اللسانيات العربية، ومرّ هذا الإدخال والنقل بالمرحلة التالية:

<sup>1</sup> يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 127.

<sup>2</sup> أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان الرباط، ط1، 2013، ص31، وما بعدها.

- المرحلة الأولى: وفيها أخذت نظرية النحو الوظيفي مكانها في الدرس اللساني العربي، بين الاتجاهين الذين كانا سائدين، ويُقصد بهما الاتجاه البنيوي والاتجاه التوليدي التحويلي.
- المرحلة الثانية: وتتمثل في مرحلة التأسيس، وفيها قام (احمد المتوكل) بربط نظرية النحو الوظيفي بالفكر اللغوي العربي القديم، واستنباط أصول هذه النظرية من التراث اللغوي العربي.
- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الإسهام في تطوير نظرية النحو الوظيفي، حيث اقترح (المتوكل) نموذج (نحو الطبقات القالبي) قصد تحقيق الكفاية التقسية عام (2003)، كما ابتدع نمودجا آخر هو (نحو الخطاب الموسع) سنة (2010).<sup>1</sup>

وقدّم (المتوكل) نمودجه (نحو الطبقات القالبي) بعد ظهور أطروحة التماثل البنيوي في، مقابل أطروحة التناقض، أو التباين البنيوي، وهاتان الأطروحتان من نتائج نظرية النحو الوظيفي، قصد تجاوز الجملة في بناء هذه النظرية ونقلها من كونها نظرية لنحو جملة، إلى نظرية لنحو النص، في إطار السعي الحثيث لشمول الدراسة الجملة، والنص معا.<sup>2</sup>

وأطروحة التماثل البنيوي، مفادها وجود بنية تواصلية (نمودجية) يُصطلح على تسميتها نمودج مستعمل اللغة الطبيعية، وعلى هذا الأساس اقترح (المتوكل) بنية نمودجية للخطاب في إطار نمودج النحو الوظيفي، وهي نحو الطبقات القالبي.

وتتشكل البنية التحتية لهذا النمودج من ثلاثة مستويات هي: المستوى البلاغي، الذي يتكوّن بدوره من ثلاث طبقات، تؤشّر للمركز الإشاري، ونمط الخطاب، وأسلوبه، والمستوى العلاقي، ويتضمّن طبقات الاسترعاء، والإنجاز، والموجّه، والمستوى الدلالي، ويرتكز على طبقتين: الطبقة التطريزية، والطبقة الوظيفية.<sup>3</sup>

ولا يهمننا في هذا البحث وصف النمذجة الصورية بشكل تفصيلي، بقدر ما تهمننا المبادئ العامة التي تقوم عليها هذه النمادج، والمفاهيم المركزية لها، فالهندسة الرياضية التي صاغها (المتوكل)،

<sup>1</sup> احمد المتوكل : نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج والمفاهيم، ص 15، 16.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003، ص 82.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ص: 84 .

جوانب تجريدية صورية لا يظهر أثرها في مجال تعليم وتعلم اللغات، وتتدخل ضمن المعرفة العلمية الخالصة.

ما يهنا هو أنّ (المتوكل) سعى إلى تطوير نموذج النحو الوظيفي، من خلال (نحو الطبقات القالبي) الذي يعمل على تفسير كيفية إنتاج المتكلم لخطاباته، وتأويل السامع لها، عن طريق الدور الذي يؤديه كلّ قالب، وكيفية اشتغال هذه الطبقات إلى جانب بعضها البعض.<sup>1</sup>

فالمستويات الثلاثة: البلاغي، والعلاقي، والدلالي، تتكوّن بدورها من طبقات، وهذه الطبقات تشتغل في بنية تحتية لأجل إنتاج، وتأويل الخطاب، وتنتقل هذه البنية التحتية إلى السطح عن طريق التأويل الصوتي، حيث يتم تحققها بواسطة القواعد الصوتيّة نطقا وسماعا، وهذه الطبقات تشتغل في شكل قالب مستقل عن بعضها البعض، وتفضي إلى بعضها البعض في الآن ذاته، حيث تتدخل السمات المتوافرة في المستويين العلاقي، والدلالي في تحديد خصائص البنية اللغوية، إذ يتم إنتاج هذه الأخيرة صوتيا وصرفياً وتركيبياً تبعا لتلك السمات.<sup>2</sup>

ويكشف نموذج نحو الطبقات القالبي عن وجود نموذجين ونمطين من اللغات الطبيعية، اللغات الموجهة دلاليا، وهي اللغات المغلبة للمستوى الدلالي، واللغات الموجهة تداوليا وهي المغلبة للمستويين البلاغي والعلاقي، وهذا النمط الأخير يفرد مستوى للخصائص التداولية يكون متميّزا عن مجال الخصائص الدلالية، والتي تتموقع غالبا في البنية السطحية، في حين لا يكاد يكون هناك فرق بين الخصائص الدلالية، والخصائص التداولية في اللغات الموجهة دلاليا.<sup>3</sup>

ومن النماذج الغربية في إطار نظرية النحو الوظيفي، نموذج اقترح قصد تحقيق الكفاية النفسية (إخضاع القواعد إلى الواقعية النفسية، إضافة إلى الكفايتين التداولية والنمطية، وهو النموذج المعروف باسم (نحو الخطاب الوظيفي) الذي اقترحه كلّ من (هنخفلد Hengeveld) و (ماكززي Makenzie) عام (2008)، وذلك من أجل تلافي القصور الواضح في النماذج السابقة في تفسير

<sup>1</sup> احمد المتوكل: نظرية النحو الوظيفي، الأسس، والنماذج، والمفاهيم، ص 24-25.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 26-27-28.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 82-83.

عملية إنتاج وتفسير الخطاب<sup>1</sup>، فنظرية النحو الوظيفي وهي تسعى إلى تحقيق الكفاية النفسية كانت تقدّم نماذج جديدة تفسر عملية إنتاج الخطاب اللغوي وتأويله، بشكل دقيق ومتكامل.

يتكون الجهاز الواصف لنحو الخطاب الوظيفي من أربعة مكونات هي: المكون المفهومي، المكون اللغوي، والمكون الصوتي والمكون السياقي، فالمكون المفهومي يعد القوة الدافعة لإنتاج الخطاب، ويتشكّل من معارف لغوية، وغير لغوية، أمّا المكون النحوي فيتم فيه تحديد خصائص الخطاب في ثلاثة مستويات هي: مستوى علاقي (تداولي)، ومستوى تمثيلي (دلالي)، ومستوى بنيوي، أي أنّ المكون النحوي عبارة عن مكون عام، تنفرع عنه مكونات فرعية، وهي: مكون الصياغة، والمكون الصرفي التركيبي، والمكون الفونولوجي، حيث يضطلع مكون الصياغة بتحديد المستوى العلاقي أو التداولي، أمّا المكون الصرفي التركيبي فيقوم بتحديد البنية الصرفية التركيبية (أدوات، وتصاريف وتراكيب)، أمّا المكون الفونولوجي، فيقوم بتحديد المستوى الصوتي بشقيه: المقطعي، والتطريزي، ويفضي المكونان الصرفي التركيبي، والمكون الصوتي، إلى بنية نحوية تامة التحديد، ويقوم المكون السياقي برصد العناصر المقاليّة، والمقاميّة التي تواكب عملية إنتاج الخطاب، بالربط بين المكونات السابقة، ويمدّها بالمعلومات عند الحاجة، وهذه المعلومات نوعان: معلومات يمكن استمادتها من انسياق مباشرة عن طريق الإدراك الحسي، ومعلومات تستمد من خطاب سابق، يتم الإشارة إليها عادة عن طريق العود الإحالي، وخرج هذه المكونات (المكون الخرج) عبارة عن خطاب متحقق، يختلف جذرياً عن المكون الفونولوجي، الذي يفضي إلى تمثيل مجرد، متدرّج في البيئية التحتية، فهذا التمثيل المجرد يمكن تحقّقه نطقاً، فيكون خطاباً مسموعاً، أو عن طريق الخط (خطاب مكتوب)، أو عن طريق الإشارة، أو غير ذلك.<sup>2</sup>

والملاحظ على هذا النموذج أنّه يختلف عن النموذجين السابقين، حيث اختزل القالبيين الاجتماعي والإدراكي في مكون واحد، هو المكون السياقي، كما اختزل فحوى القالبيين المعرفي والمنطقي في مكون واحد يرصد كل ما يفترض أن يكون القوة الدافعة إلى إنتاج الخطاب، وفهمه، وهو المكون المفهومي، كما يكمن الفرق أيضاً في المكون الخرج الذي ينقل البنية خرج قواعد التعبير

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 83-84، وينظر: نظرية النحو الوظيفي الأسس والنماذج والمفاهيم، ص 28.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 17-18.

والصرف والتركيب إلى تحقق فعلي، إما عن طريق النطق (الصوت)، أو عن طريق الخطّ، كما تم في هذا النموذج مقارنة بتلك السابقة، الفصل بين الدلالة، والتداول، حيث أصبح لكل منهما قالب مستقل (القالب الدلالي، والقالب التداولي)، فضلا عن القالب النحوي.<sup>1</sup>

وقد اقترح (المتوكل) نموذجا لتطوير نموذج الخطاب الوظيفي، وهو نموذج موسع، من خلال كتابه الخطاب المتوسط" الذي نشر عام (2011)، وعرض فيه نموذجا موسعا لمستعمل اللغة، وذلك ليصبح قادرا على رصد مختلف العمليات التي تتم أثناء عملية التواصل المباشر وغير المباشر، سواء أكانت القناة لغوية، أم غير لغوية، ولذلك فإنّ الجهاز الوصف لبنية النحو في هذا النموذج عبارة عن مجموعة من العمليات، والآليات للتوليد والتحويل، تتكفل بإنتاج الخطاب المباشر، وتحليله في حالة سلامته أو اضطرابه، ورصد مختلف العمليات التي يستلزمها الخطاب المتوسط، ولهذا فإننا نجد الجهاز الوصف لهذا النموذج يشمل كل حالات استعمال اللغة، كوصف اللغة في استعمال الترجمة بين لغتين أو أكثر، واستعمالها في التعليم، فالجهاز الوصف عبارة عن قوالب مجردة، مؤلّدة، محلّلة، ومحللة، تشغل مبدئياً لرصد التواصل اللغوي أو غير اللغوي، أي كان نمطه، وهذه القوالب عند الاقتضاء تكون لغوية، أو إشارية، أو صورية، فيكون بعضها لغويا، والبعض الآخر غير لغوي.<sup>2</sup>

ولذلك فإنّ هذا الجهاز الوصف يختلف حسب نوع الخطاب، واختلافه يكون من حيث نوع المكونات، وطريقة اشتغالها أيضا، فهناك أجزاء لا يتم تشغيلها إلا في أنواع معينة من الخطاب<sup>3</sup> وهذا النموذج يعد تطورا وتوسيعا لنموذج نحو الخطاب الوظيفي، الذي كان يكتفي برصد عمليات إنتاج وتأويل الخطاب بشكل عام، حيث يميز بين نمطي الخطاب (المباشر، وغير المباشر)، في محاولة لرصد عمليات التوليد، والتحويل والتأويل.

وكخلاصة عامة بعد عرض نماذج النحو الوظيفي، نقول إنّ تطوّر هذه النماذج لم تخرج عن المبادئ الوظيفية التي أسسها (سيمون ديك) لنظرية النحو الوظيفي، لذلك كل النماذج يعدّ نموذج (النواة) منطلقها الأساسي، وما عمليات تطوير، وتوسيع هذا النموذج إلا محاولات لتطوير النموذج،

<sup>1</sup> احمد المتوكل: النحو الوظيفي الأسس، والنماذج والمفاهيم، ص 31.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل: الخطاب المتوسط، مقارنة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، دار الأمان الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2011م، ص: 11 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه. ص: 11 .

وجعله يحرز الكفايات: التداولية والنفسية، والنمطية، أي جعله نموذجاً يرصد ويصف بالفعل كيفية تداول واستعمال اللغة عن طريق العمليات والآليات التي تفسر الكفاية التواصلية.

ونلاحظ هذا التطور الهام في مسار نظرية النحو الوظيفي، وهو انتقالها من كونها نظرية لنحو الجملة، إلى نظرية لنحو الخطاب، وهذا ضمن المسار العام للتحوّل اللساني نحو دراسة الخطاب كوحدة تستعمل فعلاً في عمليات التواصل، وليس الجملة المعزولة.

### 5- وظيفية التراث اللغوي العربي:

التراث اللغوي العربي تراث زاخر، ومعلوم أنّ الدراسات اللغوية العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، ارتبطت في الظهور، والنشأة بالنص القرآني، وفهمه وتحليله، وهذا الفكر اللغوي الثري والغني يجعل منه اليوم «معينا يستلهم منه الباحثون ما يعينهم على معالجة إشكالات لسانية متعدّدة، وإقامة نظريات، وتحاليل جديدة تقي برصد الظواهر اللغوية وتفسيرها، وليس من الغريب أن نصادف في هذا الفكر، مقاهيم، وتصوّرات وتحاليل تشابه أو تقارب - أحياناً - مثيلاتها في الفكر المعاصر، وقد تشكّل - أحياناً أخرى - منطلق تطوير النظرية اللسانية الحديثة، وإغنائها»<sup>1</sup>

وليس الغرض من توضيح عنصر الوظيفية في التراث العربي، هو مجرد التمهيد للمبادئ الوظيفية لأنها كانت منبئة في الفكر اللغوي، أو إثبات ذلك عن طريق الإسقاط المباشر، وإنّما الغرض هو توضيح الاتجاهات الوظيفية في هذا الفكر اللغوي العربي، بما يخدم اللغة العربية، علمياً وتعليمياً، وهذا ما سيتم توضيحه في محله فالفكر اللغوي العربي فيه الكثير من المبادئ الوظيفية، و « الإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول إذا اعتبر في مجموعه ( نحوه وبلاغته، وأصوله، وتفسيره )، إلى منظور ينتظم مبادئ وظيفية»<sup>2</sup>، كما يرى (المتوكل) في كتابه: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، والذي اثبت فيه وظيفية هذا الفكر، وانطلاقاً من هذه الأصول الوظيفية يرى أنّه يمكن بناء نظرية لسانية وظيفية، لكن بتفادي الإسقاطات المباشرة، واعتماد آليات، ومناهج مناسبة.

لقد ارتكز الفكر اللغوي العربي على استعمال الأدوات والآليات الوظيفية، كالارتكاز على مبدأ الترابط بين المقال، وبين المقام في عملية الوصف والتفسير، أي الربط بين الخصائص الصورية،

<sup>1</sup> آن رويول وجاك موشلار : التواصل اللغوي، مقارنة لسانية وظيفية، ص 13.

<sup>2</sup> احمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 39-40

والخصائص التداولية بالمفهوم الحديث، وتستلزم هذه الأمور وجود مكونات تضطلع برصد الخصائص التداولية، وتقوم بالربط بينها وبين الخصائص الصورية.<sup>1</sup>

وليس الربط بين الناحية التداولية والناحية البنيوية، من خلال الربط بين المقال، وبين المقام، هو المبدأ الوظيفي الوحيد الذي يرتكز عليه الفكر اللغوي العربي القديم، بل توجد عدة مبادئ وظيفية، والدّارس المختصّ بهذا التراث يجد بين طياته الكثير من الأفكار الوظيفية، مثل النظر إلى اللغة على أنّها أداة للتواصل الاجتماعي، والنظر إلى موضوع الدّراسة اللغوية على أنّه الكفاية التواصلية، وليس الكفاية اللغوية البحتة، والنظر إلى البنية اللغوية على أنّها خادمة للتواصل وأغراضه.<sup>2</sup>

وسيتّم الكشف عن مبادئ الوظيفية في التّراث العربي في ثلاثة مجالات، وهي: «البلاغة العربية، النّحو العربي، والأصول والتفسير، لأنّ هذه العلوم تمثل مجالات لاتخاذ أدوات وأفكار وظيفية في دراسة الظواهر اللغوية، ولا يتّسع المجال للتفصيل في وظيفية هذه العلوم، ولذلك سنكتفي بالتمثيل لها بنماذج لغوية.»<sup>3</sup>

### أ - وظيفية النحو العربي:

سنكتفي في مجال النّحو، بالتركيز على علمين من أعلامه هما (سيبويه) إمام النّحاة وابن جني) اللغوي الفذ، وتوضيح بعض الملامح الوظيفية في الدراسات النحوية لهذين العلمين.

ويتميز علم النحو بغض النظر عن منطلقات تأسيسه، بأنه علم يبحث في الظاهرة اللغوية بحثاً دقيقاً، ومن أبرز النّحاة (سيبويه ت182هـ)، الذي نظر إلى هذه الظاهرة نظرة وظيفية، فلم تكن بالنسبة إليه معزولة عن السّياق العام للحدث الكلامي.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 40.

<sup>2</sup> يوسف تغزاوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم بعض المبادئ المنهجية، أشغال ندوة المنحنى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، سلسلة الندوات جامعة مولاي إسماعيل، فاس، العدد 20، 2009م، من ص53 إلى ص66.

يوسف تغزاوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم بعض المبادئ المنهجية، أشغال ندوة المنحنى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، سلسلة الندوات جامعة مولاي إسماعيل، فاس، العدد 20، 2009م، من ص53 إلى ص66.<sup>3</sup>



والأمثلة الوظيفية في الكتاب كثيرة ، نذكر منها ما ورد في سياق الحديث عن دور المقام في تحديد المعنى، «حيث يرى الكثير من الدارسين أن نحو (سيبويه) نحو وظيفي بامتياز، ذلك أنه عبارة عن نسق منظم للسان العربي، بُني على مراعاة العناصر غير اللسانية، والتي تدخل في عملية تركيب البنية، كما تدخل في توجيه الدلالة والمعنى المراد توصيله، من مثل حديثه عن المنكلم والمخاطب، ومقاصدهما، والاستلزمات، الحوارية والسياقات التواصلية،»<sup>1</sup>فسيبويه اهتم بالظواهر غير اللفظية المصاحبة للظواهر اللفظية، فلم يعزل بذلك النحو العربي، كنسق مجرد مستقل من القواعد الصماء ، بل اهتم بالعناصر التداولية التي تعترى فعل الخطاب، وإنجازه، ومن تلك العناصر السياق، ودوره في تحديد المعنى، فقد ورد في حذف الفعل وإضماره، قوله في حذف الفعل في غير موضع الأمر والنهي: «هذا باب فيما يضم في الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي.

وذلك بقولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة حيث زَكِنْتَ أنه يريد مَكَّة، كأنك قلت: يريد مكة والله.

ويجوز أن تقول: مَكَّة والله على قولك أراد مَكَّة، والله كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس، فقلت: مَكَّة والله، أي أراد مكة إذ ذاك [...]»

أو رأيت رجلا يسدّ سهما قبل القرطاس، فقلت: القرطاس والله أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس.

ولو رأيت ناسا ينظرون، الهلال، وأنت منهم بعيد، فكبروا، لقلت الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال أو رأيت ضربًا، فقلت على وجه التفاؤل: عبد الله، أي يقع بعبد الله، أو بعبد الله يكون»<sup>2</sup>. فهذا النص يبرز بشكل واضح أنّ دلالة الفعل المحذوف تستمد من السياق وظروفه وأحواله.

أما (ابن جني ت 392هـ)، فتعدّ الوظيفة التواصلية، هي المنطلق الأساس في دراسة اللغة عنده، إذ يقول معرّف اللغة «أمّا حدّها، فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»<sup>3</sup>، وهذا التوجه الاجتماعي للغة، جعله يعني بالمقاصد، والأغراض والشروط التي يتم فيها إنجاز الكلام. حيث تظهر

المرجع نفسه ، ص 67 .<sup>1</sup>

<sup>2</sup> سبويه : الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص257.

<sup>3</sup> ابن جني : الخصائص، تح محمد علي النّجار، ج 1 ، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1983، ص33.

وظيفية ابن جني) في كتابه الخصائص، بتركيزه على دراسة الاستعمالات اللغوية، وما يحيط بها من عناصر غير لغوية، كمقاصد المتكلمين، والسّياق المقامي وحيثيات الاستعمال وظروفه، وغير ذلك، ويجد الدارس المحدث الكثير من نقاط الالتقاء بين أفكار (ابن جني) ، وبين الأفكار الحديثة والمعاصرة ذات التوجّه الوظيفي، فتصوّره العام لدراسة اللغة، ينطلق من المكوّن الوظيفي التداولي، وهو تصوّر يتشكّل من مستويات ثلاثة : النّحو، والدلالة، والتداول، وكيفية الربط بينها لتصبح اللغة وحدة واحدة ، ويمكن الاستفادة من ذلك في خدمة اللسانيات العربية وظيفياً، باستخلاص المبادئ والملاحم الوظيفية من نظريته، وأعماله، إذ تتركز على مبادئ ثابتة، وهي قواعد المكوّن النحوي وتشمل : قواعد النحو، قواعد التوليف الصوتي، وقواعد الصرف، وقواعد المواضع المعجمية، وقواعد المكوّن الدلالي، والتي تمكّن من رصد المقاصد والأحوال.<sup>1</sup>

ويعتمد (ابن جني) في دراسة المعنى وتحليله على ظروف عمليّة الكلام، وأسبابه، والبعد التخاطبي للغة، من خلال عملية التفاعل والتواصل اللغوي، والاعتماد على مبادئ تداولية في هذا التفاعل، كالتقياس، وتوجيه الخطاب، وغير ذلك.<sup>2</sup>

ولا يتّسع المجال هنا للتمثيل والتفصيل في وظيفية ابن جني)، لكننا نقول إنّ هذا اللغوي كانت نظريته نظرة شمولية للغة، كأداة التواصل، ولا يندرج في هذا التواصل المكوّن النحوي فحسب، بل توجد أمور غير لغويّة تتداخل مع الأمور اللغويّة وتعمل على توجيه الخطاب وظيفياً.

وقد بلور (ابن جني) في كتاب الخصائص الكثير من الأفكار الوظيفية، منطلقاً أنّ البنية اللغوية تابعة للأغراض التواصلية ويمكن الاستشهاد بنصوص كثيرة تبرهن على أن اللغة بالنسبة إليه لا تحكمها قواعد المكوّن النحوي (اللساني) فحسب، بل وتتحكّم فيها أيضاً مكونات خارجة عن مجال اللغة، ترتبط بالمكوّن التخاطبي وسياقه التواصلية، ومرجعياته التداولية، ونذكر هنا على سبيل المثال قوله « أولاً تعلم أنّ الإنسان إذا عناه أمر ، وأراد أن يخاطب به صاحبه، ويُنعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له : يا فلان، أين أنت، ارني وجهك، أقبل عليّ لأحادثك، أما أنت حاضر

<sup>1</sup> بنعيسى إزابيط، ملاحم من النظريّة الوظيفية عند ابن جني، أشغال ندوة: المنحنى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه من ص 9، إلى ص-21.

<sup>2</sup> هيثم محمد مصطفى، ملاحم من النظرية الوظيفية (التواصلية) عند ابن جني في كتابه الخصائص، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 15 / 2، 2014، ص : 222 .

يا هناه؟ فإذا اقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه، أو يأمره، أو بينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزيا عنه، لما تكلف القائل، ولما كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»<sup>1</sup>، وهذا النص يدل دلالة واضحة على أن العناصر غير اللغوية (الاجتماعية) تدخل في الاعتبارات التي أولاهها (ابن حي) اهتماما كبيرا في تحليلاته اللغوية، فدراسة اللغة وتحليل استعمالها من منظور ابن جني، يخضع لما يسميه شهادة الحال، أي دلالة حال المخاطب على مقاصده، وأغراضه من ذلك «مشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس، وعلى ذلك قالو ربّ إشارة أبلغ من عبارة»<sup>2</sup>. فالاستعمال اللغوي تصاحبه أمور غير لغوية تدخل في الاعتبار.

### ب. وظيفية البلاغة العربية

يمثل التراث البلاغي العربي، وعلم المعاني بشكل خاص مجالا زاخرا بالمبادئ والمفاهيم الوظيفية، إذ ترتبط الدراسة البلاغية بتحليل الاستعمالات اللغوية، وكلّ ما يتصل بها من شروط خارجة عن اللغة، فوظيفيه البلاغة ترجع بالأساس إلى كونها علما يدرس المعنى، ولكنّ هذا المعنى يختلف عن المعنى النحوي، ويمكن استنتاج الفرق بين المعنيين من خلال تعريف (السكاكي) لعلم النحو، وعلم المعاني في البلاغة، فإذا كان النحو هو «أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا، بمقاييس مستنبطة من كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها من الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية»<sup>3</sup>، فإنّ علم المعاني في البلاغة، هو تتبع خواص الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان، وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الوقوع في الخطأ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال»<sup>4</sup>.

ومن ثمة فإنّ النحو يدرس أصل المعنى، أما البلاغة (علم المعاني) فتدرس الكلام في ارتقائه عن هذا الأصل في المعنى، وفق مراتب البلاغة بشكل تصاعدي ينتهي عند الإعجاز القرآني، وهي كلها معاني تشكّل في جوهرها عدولا عن أصل المعنى بدرجات متفاوتة، أرقاها الإعجاز القرآني، ولذلك اهتم علم المعاني بتحقيق هدفين هما:

<sup>1</sup> ابن جني : الخصائص، ج 1، ص 248.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 248.

<sup>3</sup> السكاكي :مفتاح العلوم: عالم الفكر، بيروت، ط 2، 1987، ص 75.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 161.

- سلامة مقتضى الحال، أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال (ملاءمة السياق).

- عدم الخروج عن مقتضى الحال.<sup>1</sup>

وعليه، فإنّ المعنى تم تنازله في علم البلاغة في سياقه التواصلية، مرتبطاً بالمقامات والشروط والظروف المحيطة به.

وتزخر البلاغة العربية بنماذج تمثل توجهات وظيفية في علم المعاني، وهذه النماذج متمثلة في أعلام، نذكر منهم الجاحظ، والسكاكي، وأبو هلال العسكري، والقزويني، والجرجاني، وغيرهم ولكل واحد من هؤلاء نظرية في دراسة المعنى، لن يتسع المجال للتفصيل فيها، وقد نالت نصيباً وافراً من الدراسات الحديثة والمعاصرة، وسيتم التركيز على ثلاثة نماذج هي: الجاحظ ونظرية البيان عنده، والسكاكي ونظريته في الأدب، والجرجاني ونظريته في النظم.

بيّن الجاحظ (ت 255هـ) علاقة اللفظ بالمعنى، في تعريفه للبيان إذ يقول « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل، والسامع، إنما هو الفهم، والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان، في ذلك الموضوع»<sup>2</sup>، فالملاحظ هنا أنّه لا يتكفي باللفظ فقط في عملية التّواصل، وإبلاغ المعنى، بل هناك معينات غير لغوية تسانده، تتمثل فيما هو غير لفظي، حيث يرى إنّ جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ، خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثمّ العقد، ثم الخط، ثمّ الحال التي تُسمّى نِصْبَةً، والنِصْبَةُ هي الحال الدّالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات»<sup>3</sup>. فصور الإفهام، تتجاوز اللفظ، إلى ما هو غيره، يشارك في توصيل المعنى. والكلام عند الجاحظ طبقات، تختلف حسب متلقي الحديث، وطبيعته حيث يقول عن الخطيب وبلاغته «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أنّ يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الحوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ لا يكلم سيّد الأمة، بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق، ويكون

<sup>1</sup> أن روبرول وجاك موشلار: التّواصل، من أجل مقارنة تكاملية للشفهي، ص 49، وما بعدها.

<sup>2</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد إسلام محمد هارون، ج 1، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص 76.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 76.

في قوله فضل التصرف في كل طبقة»<sup>1</sup>، حيث تتغير طبقة الكلام، ونوعية ألفاظه، حسب طبقة المتلقي له، وهو بذلك يربط الكلام أو الخطاب بالسياقات التواصلية، ومكوناتها، فكلّ متلقي أسلوب معين في الخطاب معه، والظروف السياقية الخارجة عن الخطاب اللفظي مهمة بالنسبة إليه، من ذلك أين سيقال هذا الخطاب، ولمن يوجهه، فالحديث إلى عامة الناس يختلف في نوعية ألفاظه، وأسلوبه من حيث انتقاء الألفاظ وتصنيفها، وتهذيبها، عنه إن كان موجّهاً إلى فيلسوف، أو حكيم مثلاً.

ومن القضايا الوظيفية الواردة في البيان والتبيين، قضية مراعاة ظروف الخطاب وعناصره، وأحوال السامع، فتكون الألفاظ على قدر المعاني، التي تناسب تلك الأحوال، فتقسم الألفاظ على حسب المعاني والأغراض التواصلية، وهو ما يحيل على علاقة اللفظ بالمعنى، فطبيعة هذه العلاقة أنها علاقة تبعية بالشكل المناسب والمؤدّي للأغراض التواصلية في السياقات المختلفة فالمعاني مطروحة في الطريق، لكن كيفية اختيار الألفاظ للإفهام عنها، هو الغاية. ولكلّ مقام مقال، ومن هنا ينبغي تقسيم أقدار الكلام على أقدار المعاني، وتقسيم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات<sup>2</sup> فالعملية التواصلية عنده تشمل مكونات لغوية، وأخرى غير لغوية، وتتداخل وتتكامل لتحقيق المقاصد، والأغراض.

أما السكاكي (ت 626هـ)، فقدّم في كتابه مفتاح العلوم نظرية يطلق عليها الدارسون تسمية: "نظرية الأدب" وهي نظرية شاملة، تعكس الفكر اللغوي المتكامل، والذي بني في الأساس على فكرة المقام.

«ونظرية الأدب غنية بالمفاهيم الوظيفية، وهي في علم المعاني، الذي أدرجنا تعريفه عند (السكاكي)، عند التفريق بين المعنى النحوي، وبين المعنى البلاغي، بوصفه علماً يبحث في صحة التراكيب والعبارات، ليس من الجانب التركيبي، وإنما من جانب ملاءمة الكلام للسياق التواصلي الذي يقال فيه، فالعلم كله يدور في مدار التواصل اللغوي، وأهدافه، وأغراضه، والخطأ النحوي شيء، والخطأ التواصلي شيء آخر، وقلنا سابقاً في موضع الحديث عن مبادئ الوظيفية في اللسانيات الحديثة، إنّ البحث في الكفايات التواصلية يهتم بالسلامتين النحوية، والتواصلية معاً.»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 92.

<sup>2</sup> أن روبول وجاك موشلار: التواصل من أجل مقارنة تكاملية للشفهي، ص 99-100.

السكاكي: مفتاح العلوم ص 77. <sup>3</sup>

ومقتضى الحال، أو السياق بالمفهوم الحديث، عنصر مهم من عناصر التواصل اللغوي، بل هو ركيزة لا غنى عنها، ولذلك أضافه (ديل هايمز إلى الوظائف الست التي صنفها (جاك أوبسن) كما سبق الإشارة.

ومن هذا المنطلق تظهر أهمية نظرية الأدب كـنظرية وظيفية، أهم مبداءاتها المنهجية عنصر المقام، فهناك عبارات تحسن في مقام، ولا تحسن في آخر، على الرغم من سلامتها نحويًا، فهذا الكلام حسن، وهذا الكلام أحسن منه في المقام ذاته، وهذا أحسن منهم جميعًا وهكذا، وهذا هو المقصود بالإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره كموضوع لعلم المعاني.

فالسكاكي أولى عناية كبيرة للمقام التواصلي من خلال مقولته الشهيرة « لكل مقام مقال » حيث أورد في (مفتاح العلوم) بابا سماه « لكل مقام مقال » ويقول في هذا الصدد: « لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكائية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الأم، ومقام الترغيب يباين مقام التهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر».<sup>1</sup>

وتبعًا لمقتضى الحال، ومطابقة الكلام له يصبح الكلام، حسنًا، أو ضعيفًا في دلالته، فالسكاكي يدعو إلى ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال عند الشروع في عملية تأليف الكلام، إذ يقول: «ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو ما نسميه مقتضى الحال».<sup>2</sup>

ويمكن أن نستنتج أنّ مقتضى الحال عند (السكاكي) هو ببساطة صياغة التراكيب وفق ما تقتضيه الأغراض التواصلية التي تؤديها هذه التراكيب، ووفق حال السامع الذي ستوجه إليه هذه التراكيب والصيغ.

<sup>1</sup> السكاكي : مفتاح العلوم، ص 168.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 168-169.

وكما قلنا سابقا، إنّ الفكر الشمولي عند (السكاكي) يتمثل في نظريته "نظرية الأدب"، التي تقوم بالأساس على فكرة (المقام)، وهذه النظرية تتضمن الكثير من المبادئ الوظيفية التي يمكن استجلاؤها، سنكتفي هنا بعرض نموذج، تظهر فيه بصورة جلية علاقة الوظائف التداولية بطريقة صياغة التراكيب، ويتعلق الأمر بقضية الإسناد الخبري عند (السكاكي)، إذ يختلف باختلاف السامعين وأحوالهم، من ذكر وحذف، وتعريف وتكبير، وتقديم وتأخير وغير ذلك، ولذلك فإنّ نظرية الأدب، يمكن اعتمادها كمنهج في تحليل العبارات اللغوية من اللفظ إلى المعنى، كما يرى (المتوكل)، وذلك من خلال ثلاثة مستويات، تقابلها ثلاثة أنساق من القواعد، وهي حسب (المتوكل) دائما، كما يلي :

- **مستوى المفرد:** وينقسم بدوره إلى ثلاثة مستويات فرعية، هي: مستوى الأصوات، ويطلق به علم (الأصوات)، ومستوى الأبنية، ويطلق به علم (الصرف)، ومستوى اللغة، ويطلق به علم (المعجم).

- **مستوى التركيب:** يتم فيه نقل المفردات التي تم تحديدها في المستوى الأول (صوتيا، صرفيا، ومعجميا إلى تراكيب بواسطة المكوّن اللغوي الذي يضطلع بتحديد البنية التركيبية للعبارة، ومختلف العلاقات القائمة بين عناصرها.

- **مستوى المطابقة:** ويحدّد فيه مدى مطابقة العبارة اللغوية لمقتضى الحال.<sup>1</sup>

وعلى هذا النحو، تكون النظرية التي اقترحها (السكاكي) شاملة للمستويات اللغوية جميعها، ويكون طرقة للمقام مقتضى الحال موازيا للمستوى التداولي، كما يمكن أن نستنتج أنّ التراكيب اللغوية عنده ذات علاقة وطيدة بهذا المستوى، وهي تابعة وخادمة له، ممّا يسمح لنا بالقول إنّ (السكاكي) درس الظواهر اللغوية في كتابه (مفتاح العلوم دراسة وظيفية تربط بين البنية، وبين الوظيفة.<sup>2</sup>

وأما الجرجاني (ت 471 أو 474هـ)؛ فقد بلور فكرته الشهيرة "النظم" في (دلائل الإعجاز)، وهي فكرة تدخل في صميم الوظيفية، وأكد أنّ للدرس اللساني الوظيفي خصوصياته، ولنظرية النظم خصوصياتها، وأنّ بينهما فروق دقيقة، لكن نظرية النظم تعدّ نظرية متميزة في النقد والبلاغة، غنية

<sup>1</sup> مسعود صحراوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 181-182.

<sup>2</sup> هدى بن عزيزة : علاقة البنية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي. مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 1007، 2008. ص: 122 .

بالمفاهيم اللغوية، يهمنها الوظيفية منها، لذلك سيتم عرض بعض المبادئ، والأفكار، والتصورات التي أسس عليها الجرجاني نظرية النظم، وهي داخلة ضمن الإطار الوظيفي، بوصفها نظرية متكاملة وظيفياً.

ومن المعروف أنّ نظرية النظم وُضعت لبيان أنّ القرآن الكريم معجز في نظمه، وهي نظرية تقول بالنظم مكان النحو، وقد فرّق الجرجاني بين النظم وبين الضمّ، حيث « لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك »<sup>1</sup> أي إنّ النظم تعليق للكلم، وجعل بعضها بسبب من بعض، أما ضمّ الحروف فهو « تواليها في التطق »<sup>2</sup>، وبهذا وسّع النظم مجال الدراسة اللغوية، وربط بين النحو، وبين البلاغة، ونشير هنا في علاقة النحو بالنظم، ومكانته منه إلى أمرين هامين، أما الأول، فهو أنّ الجرجاني « رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً جديداً للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلم، وعلامات الإعراب، وبين أنّ للكلام نظاماً، وأنّ رعاية هذا النظم وقوانينه، هي السبيل إلى الإبانة والإفهام »، لأنّ نظرية النظم، نظرية متكاملة تتبّئ منها إجراءاتاً طبّق في الدلائل، قوامه تجاوز وظيفة النحو في دراسة العلامة الإعرابية، إلى إيضاح المعنى، وبيان الفروق اللغوية والمعنوية بدقة، وبهذا فإنّ « نظرة الجرجاني إلى النحو كما صورها في دلائل الإعجاز »، نقلت هذا العلم من الاهتمام بأواخر الكلمات إلى جو رحب يفيض حركة وحياء<sup>3</sup>، بجعله علماً يبحث في وظائف الكلمات، ولا يفهم من هذا الكلام أنّ الجرجاني نحا بالنحو منحاً مغايراً، فلم يكن له هم سوى إثبات إعجاز القرآن الكريم، ورأى أنّ المنهج النحوي غير كافٍ لذلك، والدليل على هذا أنّه لم يبتدع مصطلحات ومفاهيم جديدة في النحو، ويبرهن عليها في الدلائل، وأنّه أكّد نظرية العامل في النحو، في كتابة (العوامل المائة)، وإنّما وسع نطاقه، وأخرجه من الجمود الذي أصابه. وأما الأمر الثاني، فهو أنّ الجرجاني بنى منهجه اللغوي في النظم على الربط بين علمي النحو والبلاغة، للوصول إلى الكشف عن المعنى، فقواعد النحو، وقوانينه ثابتة، أمّا النظم الذي ترجع إليه المزية فردي، ومن هنا فالنظم نظرية للاستعمالات الكلامية، وقد عُرض في الدلائل نماذج من النظم

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، أبو فهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ص 49.

<sup>2</sup> إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، القاهرة 2014، ص 25.

<sup>3</sup> أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1983، ص 66.



الحسن، ونماذج من النظم الفاسد، وكما هو معروف، فإنّ الدرس اللساني الوظيفي كان يسعى إلى توسيع مجال الدّراسة، من الاهتمام بالنحو كموضوع جاد، إلى دراسة المعنى (الدلالة، والتداول).

وتتطرق نظرية النظم من فكرة أدائية اللغة في للتواصل الاجتماعي، فتعلق الكلم بعضها ببعض يخضع للأغراض، والمقاصد، فاللغة تتمظهر في أساليب «البلاغة والفصاحة والبيان، والبراعة، وكلّ ما شاكل ذلك، ممّا يُعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلّموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»<sup>1</sup>، فهي عند الجرجاني تُدرس في سياقها الاجتماعي كأداة للتواصل، وهذا منطلق أساس للدرس اللساني الوظيفي.

وليس النظم هو النحو كما سبق القول، فالنحو عبارة عن قواعد وقوانين عامة يُحتكم إليها كميّار للصحة والخطأ، ويكاد يقع اللبس بين مصطلحي النحو والنظم، خاصة وأنّ الجرجاني يعرّف النظم بقوله « اعلم أن ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وقوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك.»<sup>2</sup> لكنّ قوله " أن تضع " يعني أنّ المتكلّم يختار من تلك القوانين العامة ما يلائم الذي في النفس، من أحوال ، وخواطر ، ومعاني، فالنظم "توحّي معاني النحو " حسب الأفكار، والمعاني، والأحوال والخواطر ، ومعناه أنّ المتكلّم يبني أسلوبه الخاص، انطلاقاً من قواعد نحوية ثابتة، بما يلائم ما في النفس من معاني ومقاصد يُراد الإبلاغ عنها، فالفرق يبدو واضحاً بين "معاني النحو" التي هي قواعده، وبين " توحّيها الذي هو النظم، ومن ثمّة، فالمتكلّم يملك نوعين من المعرفة معرفة بقواعد النحو، ومعرفة وضع هذه المعرفة النحوية المقصد، وحسب السّياق التّواصلية، وهي عملية النظم ، ولذلك تمثل الأولى كفاية نحوية، وتمثل الثانية كفاية تواصلية، والثانية أشمل لأنّها تضمّ الأولى.

ونظرية النظم بقولها بمبدأ الاختيار والانتقاء، بُنيت على تعدّد الوظائف، وبما أنّ المعاني الكامنة في نفوس المتكلمين، تختلف من متكلّم لآخر، فإنّ الأسلوب يختلف ليحمل خصوصيات نفس متكلمة.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني ، ص 43.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص 81.

وبالنسبة إلى علاقة اللفظ بالمعنى، فقد بنيت نظرية النظم على مبدأ أسبقية المعنى على اللفظ، وبهذا فإن الجرجاني يدحض التّصوّر الخاطئ الذي مفاده أسبقية اللفظ على المعنى، وقد برهن على صحة نظريته بعدة دلائل، من بينها العلاقة القائمة بين طرفي العبارة (المتكلم، والسامع)، حيث يقول متحدّثاً عن حال السامع: « فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلا بترتب الألفاظ في سمعه، ظن عند ذلك أنّ المعاني تتبع للألفاظ، وأنّ الترتب فيها مكتسب من الألفاظ، ومن ترتبها في نطق المتكلم، وهذا ظن فاسد ممن يظنّه، فإنّ الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام، والمؤلف له، والواجب أن يُنظر إلى حال المعاني معه، لا مع السامع »<sup>1</sup>، فالمعاني السابقة للألفاظ عبارة عن أعراض، ومقاصد ووظائف، لما تترتب في النفس، يأتي التركيب اللغوي تابعا لها، وعليه فقد بنيت هذه النظرية بالأساس على مبدأ الوظيفة أي المعنى المترتب في النفس.

ولما كان الأمر على هذا النحو، أي لما كانت المقصد النفسي هو المنطلق، كان النحو، أو التركيب تابعا لهذا المقصد، وهذا ما يشرحه الجرجاني في تفسير النظم، وبهذا التصور تكون البنية اللفظية تابعة وخادمة للمعنى المراد التعبير عنه، يقول الجرجاني بهذا الصدد « لا يتصور أنّ تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبيا أو نظاما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعته الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك، بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها »<sup>2</sup>. وهذا النص يبرهن على تبعية البنية للوظيفة. واللفظ مرتبط بالمعنى الذي يؤديه، وبهذا تولي هذه النظرية المعنى اهتماما كبيرا.

وعموما فإنّ نظريّة النّظم كمنظريّة غنيّة بالملاحح الوظيفية، لها مستويان<sup>3</sup> هما:

- **المستوى النفسي:** وفيه ترتب المعاني في النفس، لأن ترتيب الألفاظ يقتضي ترتيب المعاني في النفس، وهذا الأخير هو الدافع لإنتاج العبارة اللغوية، أي إنّ المعنى هو المتوخى من إنتاج اللغة، وتأويلها.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 417.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 53-54.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 185.

- **المستوى اللفظي:** ينتقل المعنى بواسطة قواعد النظم إلى مستوى اللفظ، حيث يتم ترتيب الألفاظ بشكل تابع لترتيبها في النفس، فالتركيب اللفظي، وصوره، ونوع الإسناد اسمي، أو خبري، هو صورة شكلية تتأتى للمتكلم دون الحاجة إلى التفكير فيها، لأنها تخدم المعاني. ويمكن القول تأسيساً على الكلام السابق، إن نظرية النظم تشكل مرجعية وظيفية خصبة.

### ج. وظيفية علمي الأصول والتفسير:

والتفهذان العلمان مجالان وظيفيان في دراسة وتحليل النص القرآني، لكننا نشير هنا إلى أننا لن نذكر أعلاماً مفسرين وأصوليين مثلما فعلنا عند الحديث عن وظيفية علمي النحو والبلاغة، وإنما سنكتفي هنا بذكر أهم الأدوات الوظيفية التي تم الارتكاز عليها في هذين العلمين.

فالأصوليون تناولوا النص القرآني بالدراسة والتحليل قصد استنباط الأحكام الشرعية وخصوصية هذا النص، وهذه الأحكام، جعلت مهمة الأصوليين صعبة، وخصوصية موضوع الدراسة، ألا وهو استنباط الأحكام الشرعية، جعلت الأصوليين أمام خيارات منهجية لمقارنته، وهي المنهج النحوي الصرف، أي دراسة النص القرآني، وتحليله من الداخل، أو تجاوز هذا المنهج إلى منهج آخر، يستمد روحه من علم المعاني، فكان الخيار هو انتهاج المنهج الأصولي، الذي يركز على ثلاث ركائز، تمثل أدوات منهجية وظيفية، وهي المفاهيم الآتي ذكرها:

\* **الدلالة:** لقد تعامل الأصوليون مع الدلالة بحذر ودقة، فهي إحدى السبل الرئيسة عندهم للوصول إلى المعنى، وبلغ الأصوليون شأنًا عظيمًا في الحديث عن الدلالة، وكيفية النظر في قلبها بتقلب الاعتبار، وأهمية اعتبار الاستعمالات والمقاصد فيها معروف.<sup>1</sup>

وقد اتخذ الأصوليون عدة مداخل لفهم المعنى أهمها قصد عبارات وجمل القرآن الكريم لا تفهم إلا بفهم مقصد الشارع الحكيم، وهذا المقصد إنما تدلّ عليه عدة قرائن بنوعها، اللفظية والعقلية، ولذلك تعدّ هذه القرائن أداة يستعان بها لفهم المعنى المقصود<sup>2</sup>، والدلالة عند الأصوليين نوعان:

<sup>1</sup> أن رويول وجاك موشلار: التواصل، من أجل مقارنة تكاملية للشفهي، ص 69.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، من ص 85، إلى ص 89.

- **دلالة اللفظ:** وهي دلالة اللفظ على المعنى، أي إن هذه الدلالة تستخلص من الألفاظ والعبارات، ويطلق عليها مصطلح الدلالة الصريحة، والأشهر منه استعمالاً مصطلح: دلالة المنطوق على المعنى المستخلص من العبارة وفقاً للعرف اللغوي<sup>1</sup>، فهي دلالة واضحة ومباشرة.

- دلالة ضمنية: وهي عكس النوع الأول من الدلالة، فهي لا تستخلص من العبارات والجمل بشكل صريح.

#### \* السياق:

السياق هو كل ما يحيط بالخطاب اللغوي، من ظروف، أو ملامسات تعتمد في فهم وتحليل دلالات ومعاني القرآن الكريم كخطاب لسانی، فهذه المعارف غير لغوية تساند المعارف اللغوية وتتكامل معها، لفهم الخطاب اللغوي إنتاجاً وتأويلاً، ولذلك فإنّ الأصوليين لم يهملوا هذا الجانب، وهذا ما نجده في كتاب (الموافقات) للشاطبي، الذي أكد فيه الاهتمام بالظروف العامة للمجتمع العربي، في خواصه الاجتماعية، والتاريخية، ذلك أنّ اللفظ يحمل عدّة دلالات، وله عدة أوجه للاستعمال، ومعناه يضبط بدقة حسب مقتضى الحال الذي يرد فيه من ذلك صيغ الأمر والنهي، التي تعامل معها الأصوليون حسب السياقات الاستعمالية، فالأمر قد يفيد الأمر حقا، أو الإرشاد، أو التحفيز أو الإباحة، أو غير ذلك من المعاني المستقاة من السياق الاستعمالي<sup>2</sup>، وهكذا بالنسبة للصيغ والتراكيب الأخرى ذات الأغراض المتعددة، التي لا تفهم إلا في سياق استعمالها .

#### \* القرائن :

وهي من الأدوات المنهجية التي انتهجها الأصوليون، وهي مدخل ثالث للدخول إلى المعنى، وفهم مقصد الشارع، فالسياق النصي للقرآن، بنوعيه الداخلي والخارجي، أدواته نوعان من القرائن، قرائن لفظية، ذات صلة بالألفاظ والعبارات كونها معطيات لسانية، وقرائن حالية أي سياقية، وتتمثل في مختلف الشروط والظروف النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، التي تحيط بالنص القرآني، كمعطيات خارجة عن النص<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مسعود صحراوي : المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 193.

<sup>2</sup> آن رويول وجاك موشلار: التّواصل من مقارنة تكاملية للشفهي، ص 71.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 71.

أما في علم التفسير؛ فقد تعامل المفسرون هم الآخرون تعاملًا وظيفيًا مع النص القرآني قصد تفسيره، كخطاب له أهداف، وغايات وأغراض تواصلية، والكشف عن المحتوى يرفع الحجاب عن تلك الأغراض، والغايات والمقاصد، وللوصول إليها يجب الاستعانة بمعطيات لفظية، ومعطيات غير لفظية، كأسباب النزول مثلاً، التي تعدّ معينا هاما خارجا عن النص، لكنّه ساهم إسهاما كبيرا في تفسير الآيات القرآنية، وقد ارتكز عليه المفسرون.

والمطلع على التفاسير المختلفة للقرآن الكريم، قد يجد للآية الكريمة الواحدة أكثر من تفسير، وذلك بحسب ما أوتي المفسر من أدوات ومعطيات لغوية وغير لغوية لتفسير هذه الآية، وبحسب القدرة الفكرية على توظيف هذه المعطيات في توضيح المعنى.

وإذا نحن أخذنا نموذجا للدراسة والتحليل، متمثلا في: (تفسير التحرير، والتنوير) للمفسر (الطاهر بن عاشور)، فإنّ هذا التفسير يركز على مبادئ وظيفية، في شرح الآيات القرآنية وتفسيرها، فقد عرض القضايا اللغوية، وقام بمعالجتها وظيفيًا من ذلك قضية الإسناد الخبري وتغيير الدلالات بتغيير الرتبة التقديم والتأخير)، ومظاهر: التعريف، والتأكيد، والحذف، والذكر، والوصل والفصل، وما تؤدّيه هذه المظاهر من أغراض تواصلية، والقصر والتوكيد وغير ذلك من مظاهر التركيب، قام علم التفسير بدراستها وظيفيًا، وربطها بالمعنى، والدلالة المراد إيصالها إلى المتكلم.<sup>1</sup>

وبعد هذا العرض الموجز للمبادئ الوظيفية في التراث اللغوي العربي، نقول إنّه يمكن للباحث اللساني اليوم أن يقوم ببناء نظرية وظيفية للغة العربية استنادا إلى هذه الأصول التراثية، بشرط تقادي الإسقاطات المباشرة، لما هو متوافر في اللسانيات الغربية، من أفكار ومبادئ ومفاهيم، على تلك التي يتوافر عليها التراث اللغوي العربي، حيث يمكن لهذه الأصول أن تكون منطلقا لبناء نظرية وظيفية عربية معاصرة.

<sup>1</sup> الطاهر شارف: المنحنى الوظيفي في تفسير التحرير، والتنوير، لابن عاشور، سورة البقرة نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.

وهذا ما يراه (المتوكل)، الذي نقل نظرية النحو الوظيفي إلى اللغويات العربية، وقام بالتأصيل لها في التراث العربي، فهو يرى إمكانية إنشاء وتأسيس نظرية لسانية عربية وظيفية، تستمد أصولها من علمي المعاني، والأصول بشكل خاص، حيث يمكن التركيب بينهما في نظرية وظيفية واحدة، من أهم مبادئها: المقام (السياق)، كما يرتكز منهجها على أسبقية المعنى على اللفظ، وتبعية هذا الأخير للأول.<sup>1</sup>

فالتراث اللغوي العربي فيه الكثير من المعطيات اللسانية الوظيفية والتداولية، وهو ما يبرز قيمته، وصلاحيته لاستثمار ما فيه من بذور فكرية، في التأسيس لفكر لغوي عربي معاصر.

<sup>1</sup> مسعود صحراوي : المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 165، وما يعدها.

**خلاصة:**

نخلص في نهاية الفصل إلى أنّ اللسانيات الوظيفية توجّه في دراسة اللغة، يعنى بتحليل الوظائف، والتي تُردّ كلها على تعدّدها وتنوعها - إلى وظيفة التواصل، وهذه الوظائف هي منطلق تحليل الظاهرة اللغوية وتفسيرها، وبهذا يعدّ المنهج الوظيفي اللغة جزءا من السلوك الاجتماعي لا ينفصل عنه، وفهمها لا يتأتّى دون أخذ وظيفتها في تحقيق الأغراض والمقاصد في الاعتبار، وكلّ ما يتّصل بذلك من مكّونات خارجة عن النسق اللساني.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إنّ المنهج الوظيفي وسّع مجال الدراسة اللسانية، باهتمامه بالعناصر غير اللغوية، سعيا إلى تحليل الاستعمالات اللغوية المتنوعة، بالاستعانة بأدوات وإجراءات تتيحها فروع معرفية، انفتح عليها الدرس اللساني الوظيفي، كالتداولية، وإثنوغرافيا التواصل، وتحليل الخطاب.

فمن دراسة اللغة إلى دراسة الاستعمالات اللغوية، أصبح موضوع اللسانيات الوظيفية الكفاية التواصلية، وبغرض تفسيرها فهما، وإنتاجا قدّمت مختلف النظريات التي تندرج في هذا الإطار تصوّراتها التي ترجمتها في نماذج لمستعمل اللغة الطبيعيّة، وعلى رأسها نظرية النحو الوظيفي، التي تتميز بغناها المرجعي وجهازها المفاهيمي الثري والمتنوع، الذي يعكس تطوّر اللسانيات واتساع مجالها.

الفصل الثاني:

اللسانيات الوظيفية في منظور اللسان العربي



## المبحث الأول:

## اللسانيات العربية.

اللسانيات العربية هي علم يهتم بدراسة اللغة العربية دراسة علمية موضوعية، من حيث

بنيتها ووظائفها وتطورها واستخداماتها المختلفة نشأت اللسانيات العربية في العصر الحديث متأثرة باللسانيات الغربية، لكن لها جذورًا عربية قديمة في تراثنا اللغوي.

## 1- المصطلح اللساني العربي.

قبل الشروع في اللسانيات العربية يجب التطرق إلى المفهوم القديم والحديث لها فكان لزاما علينا ألا ننكر الدور الذي قدمه القدماء في مجال علم اللغة وأصول الفقه وتمهيدهم لظهور اللسانيات الحديثة حيث نستطيع تقسيم اللسانيات العربية إلى فرعين أساسيين من حيث المعنى الذي استعمله كل قسم.

## قديمًا:

استعمل علماءنا قديمًا هذه التسمية لدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تميزها لها بما هو خارج علم أصول الفقه و علم الكلام وعلم الحديث و علم المنطق و علم الحساب والفقه التفرعي و غيرها من فنون المعرفة، وردت هذه اللفظة في كثير من المؤلفات نذكر منها : المخصص لابن سيده ، ومقدمة ابن خلدون و فيها أيضًا علوم اللسان و يتضمن علم أوضاع المفردات وغيرها من حيث السماع" وعلم النحو" أوضاع أنية و المركبات"، ويتناول أيضًا علم البلاغة ( علم التبليغ الفعال)، أي دراسة الأساليب الكلامية التي تؤثر في مشاعر المخاطب، كما استعملوا أيضًا عبارة "علم اللسان العربي" للدلالة على هذه الفنون التي ذكرناها لكنها مقصورة على اللغة العربية فقط، وكان العلماء الأولون أبو عمرو ابن العلاء ( ت 154هـ) و أصحابه، الخليل(ت175هـ) وسيبويه (ت180هـ) و أصحابهم يعبرون عن هذا المدلول بلفظ العربية فقط أو علم العربية حديثًا.<sup>1</sup>

مسعود صحراوي : المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 165، وما بعدها.<sup>1</sup>

## حديثاً:

وهنا يورد لنا عبد الرحمن الحاج صالح أن اللسانيات ترجمة للفظة *linguistique* بمفهومه الحديث.

ما يدل عليه اللفظ في النصف الثاني من القرن العشرين بعلم اللسان، ويرى أن موضوعه هو اللسان البشري بوجه عام والألسنة المعينة بوجه خاص، كما ينظر إليه العلماء المحدثون.<sup>1</sup>

وعلم اللسان يتعرض إلى الأحداث اللسانية كعلم بحث أي:

. بالموضوعية المطلقة (وله في ذلك مقاييس).

. بمشاهدة الظواهر اللغوية (بأجهزة أو بغير أجهزة).

. بالاستقراء الواسع المستمر (إجراء التحريات المنتظمة)

. بالتحليل الإحصائي.

. باستنباط القوانين العامة.

. باستعمال المثل والأنماط الرياضية اللائقة.

. بتحليل هذه القوانين وجعلها معقولة.

. ببناء نظريات العامة الفعالة القابلة للتطوير.

وتكون نظريته إليها إما زمانية تطويرية، وإما آنية سكنوية أو وضعية، وهو قبل كل شيء يهتم بنظام الكلي لا بأجزائه كأجزاء، ومعنى ذلك أنه يلتفت إلى البنية ويتعمق في أسرارها حيث تكون غايته من ذلك الوصول إثبات العلاقات والنسب بين مختلف الظواهر اللغوية بدقة علمية تامة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمن حاج صالح: بحوث ودراسات في لسانيات العربية. ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م، ص: 24.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 25.

## المبحث الثاني: النحو الوظيفي واللغة العربية :

## 1- أهمية الوظيفة التواصلية في دراسة بنية اللغة:

يتلخص رأي تشومسكي بالنسبة لهذا الإشكال كالتالي:

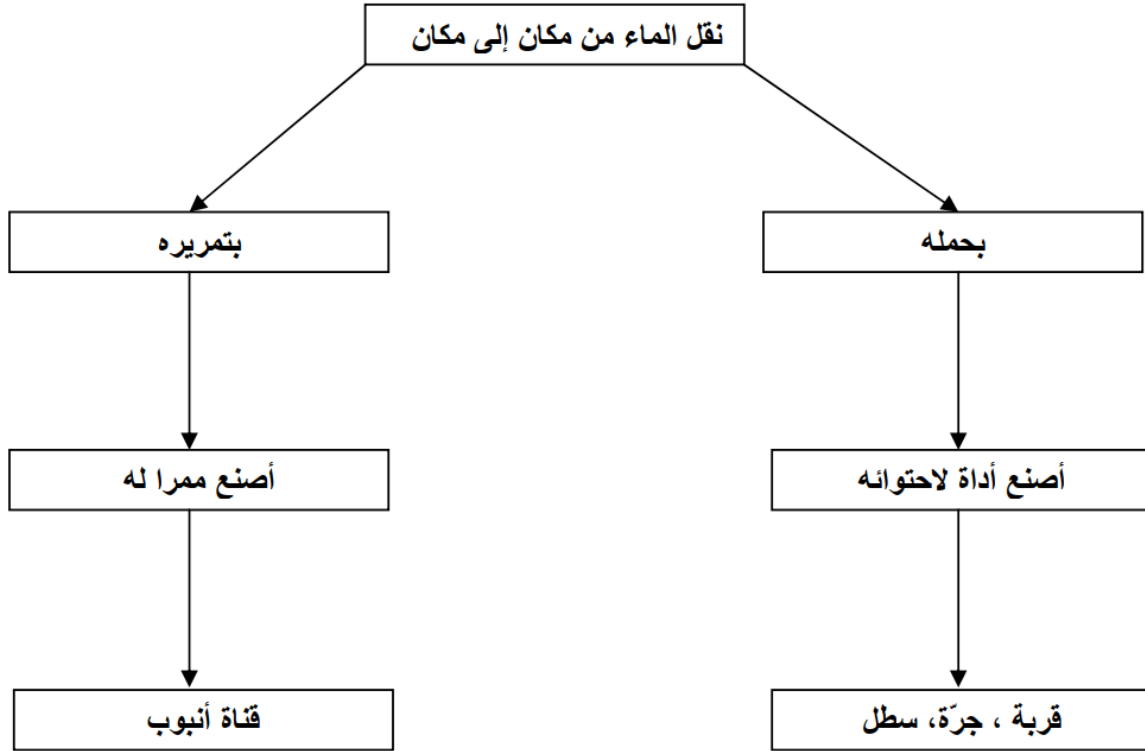
ليس ثمة ما يثبت أن الوظيفة تحدد البنية ويمكن بالتالي خلافا لما يذهب إليه فلاسفة اللغة العادية دراسة بنية اللغة دون الانطلاق من وظيفتها كما يمكن للفيزيولوجي أن يدرس بنية القلب دون أخذ وظيفة (ضخ الدم بعين الاعتبار). ويترتب على هذا أن الجوانب الوظيفية للغة يمكن أن تدرس إذا أريد دراستها، خارج النحو، أي في إطار "نظرية الإنجاز".<sup>1</sup>

أما فلاسفة اللغة العادية واللغويون والوظيفيون فإنهم بالعكس من ذلك ينطلقون من دراستهم للغات الطبيعية من مبدأ أن الوظيفة التواصلية تحدد بنية اللغة كما أن كل أداة من الأدوات التي يستعملها البشر تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها، لتوضيح وجوب ملائمة بنية الأداة لوظيفتها المستعملة من أجلها، يعطي ذلك المثال التالي:<sup>2</sup>

واجهت جميع الحضارات الإنسانية مشكل نقل الماء من مكان إلى مكان فاضطرت إلى صنع أدوات معينة لحل هذا المشكل، لهذه الأدوات طبعاً، أشكالاً وبنيات مختلفة اختلاف الحضارات التي صنعتها، إلا أنها جميعها تتقاسم خصائص معينة تؤهلها لحل إشكالا نقل الماء كما يتبين في الآتي:

عبد الرحمن حاج صالح: بحوث ودراسات في لسانيات العربية. ص 65. <sup>1</sup>

المرجع نفسه ، ص 70. <sup>2</sup>



هذه الخصائص التي تتقاسمها هذه الوسائل على اختلاف أشكالها تتيح التنبؤ بأن أي الحضارات جديدة تلجأ إلى وسيلة من هذه الوسائل (أو أكثر من وسيلة) لحل مشكل نقل الماء.<sup>1</sup>

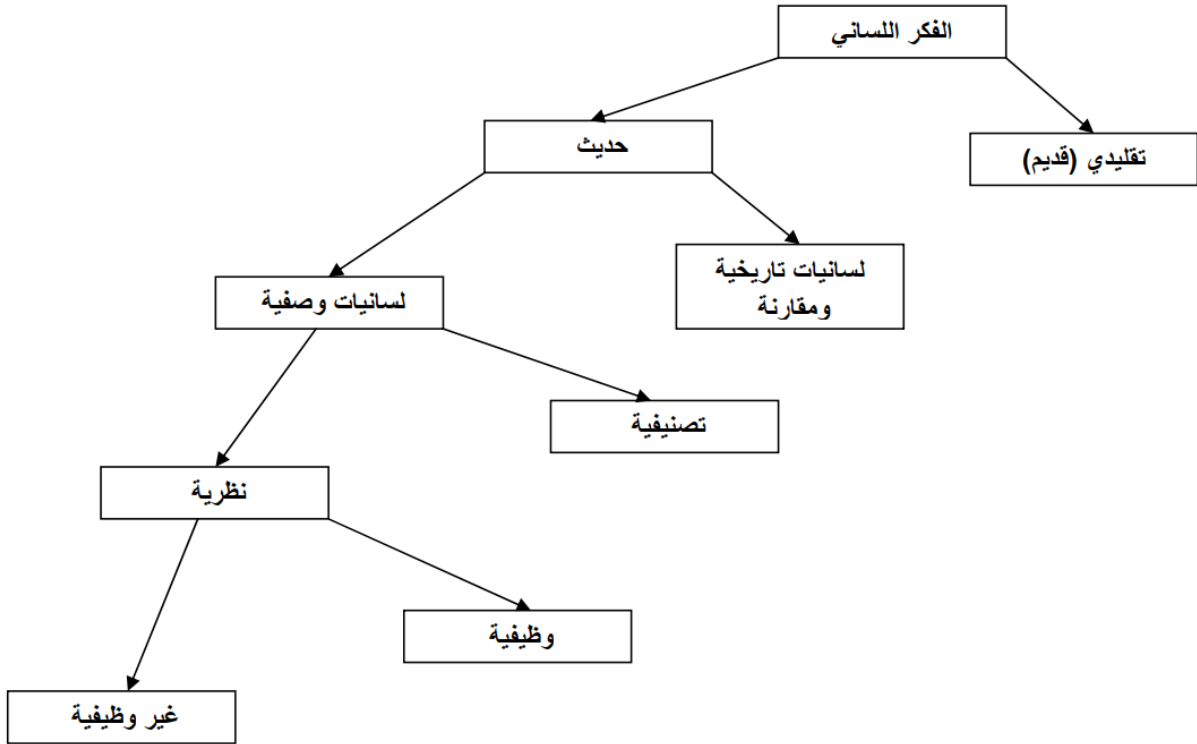
على غرار وسائل نقل الماء يمكن القول بأن اللغات الطبيعية باعتبارها وسائل للتواصل، تتقاسم على اختلافها خصائص معينة هي بالذات الخصائص التي تؤهلها لتأدية هذه الوظيفة.

### 1-1- الفرق بين النظريات الوظيفية والغير الوظيفية:

تتقاسم النظريات الوظيفية وغير الوظيفية مجموعة من الخصائص إلا أن ما يخالف بين هاتين الزمرتين أكثر مما يؤلف بينهما بحيث يمكن القول بأنهما تشكلان مجموعتين نظريتين متميزتين كما هو موضح في الرسم التالي:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 14-15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص : 16 .



وتكمن إجمالاً وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف بين هاتين المجموعتين من النظريات كما يلي:<sup>1</sup>

أ- تسعى جميع النظريات اللسانية لوصف خصائص اللغات الطبيعية بمعنى أن جميع هذه النظريات تتخذ موضوعاً لها اللسان الطبيعي.

ب- لا تقف هذه النظريات عند الوصف الصرف للظواهر اللغوية بل تتعداه إلى محاولة تفسير هذه الظواهر.

ت- تستهدف هذه النظريات استكشاف الخصائص الجامعة بين اللغات الطبيعية على اختلاف أنماطها أي وضع نحو كلي تتفرع عنه الأنحاء "الخاصة المقترحة لوصف كل لغة على حدة.

ث- تصوغ كل نظرية نموذجاً صورياً تفترض فيه أنه يكفل التمثيل الملائم للظواهر الموصوفة.

ج- الأنحاء التي تصوغها جميع هذه النظريات أنحاء "قدرة وليست أنحاء "إنجاز": تستهدف النظرية وصف قدرة المتكلم أي معرفته للغة التي تمكنه من "الإنجازات" في مواقف تواصلية معينة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> احمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية ، ص 18 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 20 .

ح- وتفرّد جميع هذه النظريات بدرجات متفاوتة، مستويات للتمثيل للجوانب التركيبية والجوانب الدلالية والجوانب التداولية.<sup>1</sup>

### وجوه الاختلاف:<sup>2</sup>

أ- تعد النظريات غير الوظيفية اللغة نسقا مجردا (أو مجموعة من الجمل المجردة) يؤدي وظائف متعددة أهمها وظيفية "التعبير عن الفكر" في حين أن النظريات الوظيفية يعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي، أي أن نسقا رمزيا يؤدي مجموع من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

ب - تعتمد النظريات الوظيفية فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ارتبطت البنية بوظيفة التواصل، بيد أن النظريات غير الوظيفية تنطلق من مبدأ أن اللغة نسق مجرد يمكن وصف خصائصه دون اللجوء إلى وظيفة، بعبارة أخرى، لا يمكن في نظر الوظيفيين وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها في حين أنه في رأي غير الوظيفيين، من أن يتم وصف خصائص العبارات اللغوية بمعزل تام من سياقات استعمالها.

ث- قدرة المتكلم، السامع في رأي غير الوظيفيين معرفته للقواعد اللغوية "الصرف" (القواعد التركيبية والدلالية والصوتية)، أما القدرة في رأي الوظيفيين فهي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، القدرة، إذن، حسب الوظيفيين قدرة "تواصلية تشمل القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية.

ث- يتعلم الطفل حسب اللغويين غير الوظيفيين نحو اللغة مستعينا بالمبادئ التي فطر عليها ويتعلم، حسب اللغويين الوظيفيين النسق الثانوي خلف اللغة واستعمالها، أي أن العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها.

ج- يتصور اللغويون غير الوظيفيين الكليات اللغوية على أساس أنها مجموعة من المبادئ العامة المتعلقة بالخصائص الصورية (التركيبية والصوتية والدلالية) للسان الطبيعي يفطر عليها الطفل في حين أن اللغويين الوظيفيين يتصورون هذه المبادئ على أساس أنها مبادئ ترتبط بين الخصائص

<sup>1</sup>. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ص 14-15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 16 .

الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل. فالكليات في نظر غير الوظيفيين كليات صورية وهي في رأي الوظيفيين كليات صورية وظيفية.

ح- يفرد الوظيفيون مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية (خاصية الاقتضاء والنبئي خاصة القوى الانجازية، ...) ويلاحظ منذ سنوات أن بعض النظريات غير الوظيفية (النظرية المعيارية الموسعة مثلا تضع قواعد معينة تتكفل بالتأويل التداولي للبنيات المولدة تركيبيا.<sup>1</sup>

## 2-1- الوظيفة الأساسية للغة:

يذهب اللغويون الوظيفيون إلى أن اللغة تقوم بوظائف متعددة لا بوظيفة واحدة.

أ- ياكبسون:<sup>2</sup>

حسب ياكبسون تقوم اللغة بستة وظائف الوظيفة المرجعية أو الإحالية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة التأثيرية، الوظيفة الشعرية الوظيفة اللغوية بفتح اللام، الوظيفة الميتالغوية، الوظيفة المرجعية.

1- تقوم اللغة بوظيفة مرجعية باعتبار أن المتكلم يحيل بواسطة خطابه على واقع هذه الإحالة على الواقع هي في الوقت ذاته تواصل بين المتخاطبين بهذا المعنى تكون الوظيفة المرجعية وظيفية تواصلية أثناء التواصل يعبر المتكلم عن ذاته ويسعى إلى التأثير في المخاطب فيكون الخطاب بذلك مؤذيا، بالإضافة إلى الوظيفة المرجعية للموظفين التعبيرية والتأثيرية.

2 - الوظيفة اللغوية: تستلزم عملية الخطاب أحيانا استخدام عبارات لإقامة حوار أو لتمديده أو لنهايته وتتميز هذه العبارات بكونها شبه مفرغة من محلولها الحرفي الاستعمالي لذلك تسمى وسائل لغوية ككلمة "ألو" وبواسطة مثل هذه العبارة تؤدي اللغة ما يسميه "ياكبسون" " الوظيفة اللغوية".

3 - الوظيفة الشعرية: تقوم اللغة بهذه الوظيفة في حالة إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية أي خطاب دال داخل نفسه.

4- الوظيفة الميتالغوية: فهي الوظيفة التي تقوم بها اللغة في حالة إحالة عبارة على عبارة أخرى. وتظهر هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة مثلا فالمصطلحات "فاعل" و "مفعول" عبارتان

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية ص 15-16.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 18 .

ميتالغوياتن لكونهما تدلان لا على واقعين في العالم الخارجي بل على نمطين من العبارات تتوفر فيهما خصائص معينة.<sup>1</sup>

### ب- هاليدي:

أما هاليدي فهو يرى أن الأغراض التي يمكن أن تستعمل فهو من أجل تحقيقها غير متناهية كما أنها تختلف باختلاف العشائر الاجتماعية والأنماط الثقافية، إلا أن هذه الوظائف المتعددة لا تهتم جميعها الدارس اللغوي. لهذا يتحتم على المتصدي لدراسة الوظائف دراسة لغوية أن ينتقي من بين حشد الوظائف التي تستعمل اللغة من أجل تأييدها الوظائف المتوفرة فيها الخاصيتان:

أ- ورودها بالنسبة لجميع اللغات الطبيعية.

ب- بتحديد لها لبنية اللغة.

وبالتالي تنتج لنا ثلاث وظائف: الوظيفة التمثيلية والوظيفة التعالقية والوظيفة النصية.<sup>2</sup>

**1- الوظيفة التمثيلية:** حيث تستعمل اللغة للتعبير عن "فحوى" يشكل تجربة المتكلم بالنظر إلى الواقع الذي يعيشه سواء أكان الواقع مرتبطا بذات المتكلم، أي أن اللغة في هذه الحالة مؤدية لوظيفة التمثيل الذي يعيشه المتكلم في الواقع.

**2 - الوظيفة التعالقية:** وتكون حين تستعمل اللغة لإقامة العلاقات الاجتماعية التي يتخذها المتكلم بالنسبة لمخاطبه كدور "المخبر" ودور "السائل" ودور "المجيب" ودور "الأمير" أو "الناهي" بهذا المعنى تقوم اللغة بوظيفة "التعاليق". ومن خلال الوظيفة ذاتها تتيح اللغة للمتكلم اتخاذ موقف من خطابه كأن يوجه على جهة اليقين أو جهة الاحتمال أو جهة "الشك".

**3 - الوظيفة النصية:** وهي الوظيفة التي تربط، الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها هذه الوظيفة هي التي تمكن المتكلم من تأليف خطابه في شكل نص، والمخاطب من التمييز بين "نص" ومجرد سلسلة من العبارات التوالدية من الجوانب الأساسية لهذه الوظيفة لإقامة علاقة "الاتساق" بين الجمل العلاقة التي تستلزم وجودها قيام كل خطاب متماسك.

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية ص 52.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 53.



**2- النحو الوظيفي:**

لا يخفى على المتتبعين للنظريات اللغوية المعاصرة بصفة عامة والنظريات النحوية بصفة خاصة المكانة العلمية المتميزة لنظرية النحو الوظيفي "السمون ديك" التي أصبحت الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية قبلها وبديلاً عنها.

**2-1- النشأة والمنطلق:**

نشأت نظرية النحو الوظيفي في أواخر سبعينات القرن الماضي على يد مجموعة من الباحثين في جامع أمستردام برئاسة الباحث الهولندي سيمون ديك (S.DIK).

كان منطلق النشأة الاقتناع بأن مقارنة خصائص العبارات اللغوية خاصة منها ما يتضمن وصلاً (بين المفردات أو بين الجمل)، على أساس العلاقات أو الوظائف (الدالية والتركيبية والتداولية تفضل مقاربتها على أساس المقولات الشعرية كالمركب أو المركب الفعلي الذي لا دور له إلا في بعض اللغات في اللغة المقارنة أصبح التمثيل التحتي للعبارات اللغوية بنية وظيفية لا ترتب فيها، تتخذ دخلاً لمجموعة من القواعد (تختلف باختلاف اللغات) تنقلها إلى بنية سطحية مرتبة.<sup>1</sup>

بفضل تطعيم هذه المقاربة العلاقية بمفاهيم تداولية أخرى (كالقوة الانجازية وغيرها) وبفل تطبيقها على لغات متباينة النمط، شجرية وغير شجرية، انتقلت إلى وظيفة قائمة الذات.

**2-2- المبادئ والأهداف:**

تركز المقاربة الوظيفية شأنها في ذلك شأن جميع النظريات على مبادئ وأهداف عامة بقطع النظر عن الإطار الذي يتبناها قديماً كان أو حديثاً، ونبين هنا أهمها حسب ما جاء به أحمد المتوكل:

**1- أدائية اللغة :** من المعلوم أن المقاربة الصورية تعد اللغة موضوعاً مجرداً أي مجموعة من الجمل تربط بين مكوناتها علاقات صرفية تركيبية ودلالية في هذا المعنى وتقارب اللغة على أساسها أنها بنية مجردة ويمكن أن تدرس خصائصها في حد ذاتها، أي بقطع النظر كما يمكن أن تستعمل من أجله، أما المقاربة الوظيفية فتعتبر اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية من هذا

<sup>1</sup> احمد المتوكل : دراسات مراجعات شهادات تكريماً الأستاذ الدكتور نهاد موسى ، مجلة آفاق اللسانيات ، إشراف وتحرير هيثم سرحان، مركز البحوث العلمية ص34.

المنظور، نجد العبارات اللغوية، مفردات كانت أو جملا، وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة وتقارب الخصائص النبوية على هذا الأساس.

## 2 - وظيفة اللغة الأداء: إذا نحن سلمنا بأن اللغة أداة فما هي وظيفتها؟

يسخر مستعملي اللغة هذه الأداة لتحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه، أو مجرد إخباره بواقعة ما. إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت واختلفت من حيث طبيعتها، تبقى أو إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما فمن المعلوم أ، التواصل يمكن أن يتم عبر قنوات أخرى كالإشارة والصورة، إلا أن التواصل عبر هذه القنوات لا يرقى قوة ودقة إلى التواصل المتوسل فيه باللغة.<sup>1</sup>

ومن المعلوم أيضا أن أدوات التواصل غير اللغوية قد تتضافر مع اللغة أنساق تواصلية "مركبة" كالشريط السينمائي مثلا.

### 3- اللغة والاستعمال: يرتبط نسق اللغة ارتباطا وثيقا بنسق استعمالها، ويقصد بنسق الاستعمال مجموعة القواعد والأعراف التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين. إن نسق اللغة والاستعمال نسقان مختلفات من حيث طبيعتهما لكنهما مترابطان ويتجلى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدد في مجالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية والدلالية والصرفية التركيبية والصوتية وهو ما يعني بع فرع اللسانيات المسمى "اللغويات الاجتماعية".<sup>2</sup>

من أبسط الأمثلة في هذا المضمار، اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية كجنس المخاطب وسنه وطبقته المجتمعية والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها، فالمتكلم لا يستعمل النمط نفسه من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة.

### 4- سياق الاستعمال: يقتضي التواصل "الناجح" أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها وسياق الاستعمال سياقان سياق مقالي، وسياق مقامي.

### 5- اللغة والمستعمل: يشكل حمولة العبارة اللغوية ثلاثة عناصر أساسية:

<sup>1</sup> أحمد المتوكل : دراسات مراجعات شهادات تكريما الأستاذ الدكتور نهاد موسى ، مجلة آفاق اللسانيات ، إشراف وتحرير هيثم سرحان، مركز البحوث العلمية ص34.  
المرجع نفسه ، ص 2 . 35

أولاً: فحواها القضوي وثانياً: القصد من إنتاجها إخبار أو استفهام أو أمر أو غير ذلك). وثالثاً: وهو المهم ويخص موقف المتكلم من الفحوى القضوي .

**6- القدرة اللغوية:** ما يقصد عامة بالقدرة اللغوية (في مقابل الإنجاز) هو المعرفة التي يخزنها المتكلم، السامع عن طريق الاكتساب، فتمكنه من إنتاج وتأويل عدد غير متناه من العبارات السليمة. يمكن القول إن الاتفاق شبه الحاصل على أمرين هامين اثنتين: لزوم التمييز بين أن يكون موضوعا للوصف اللغوي هو القدرة بدون الإنجاز. إلى جانب الاتفاق حول هذين المبدئين يوجد اختلاف ملحوظ بين التيار السوري والتيار الوظيفي حين يتعلق الأمر بالمقصود بقدرة المتكلم السامع، وهي ما يمكن تلخيص فحواها هي:<sup>1</sup>

أ- تتحصر القدرة لدى منظري التيار السوري في المعرفة اللغوية الصرف، في مجموعة القواعد الصرفية التركيبية والدلالية والصوتية. وقد يضاف إلى هذه المعرفة اللغوية معرفة عامة فيتحدث عن قدرتين " قدرة نحوية، وقدرة تداولية على أساس أن القدرة الثانية مفصلة فصلا تاما عم القدرة الأولى، وعلى أساس أن القدرة الأولى وخدها يمكن أن تتخذ موضوعا للدرس النحوي.

ب- أما في التيار الوظيفي فلا تمييز بين قدرة نحوية وقدرة تداولية، وإنما هي قدرة تواصلية واحدة تضم بالإضافة إلى المعرفة النسق اللغوي في حد ذاته، معرف أخرى وهي المعارف السياقية الآنية والمعارف السياقية العامة. في هذا المنظور يستحضر المتكلم - السامع في أثناء إنتاج عبارات لغته أو فهمها هذه المعارف كلها، وإن يكن استحضارها يتفاوت باختلاف موقف التواصل وملايساته ونمط الخطاب المنتج وإن تكن المعرفة النحوية الصرف تقوم بالدور المركزي في حالات الخاطب العادية.

**7- الأدوات وبنية اللغة:** إن لكل من المبادئ الستة أهميتها في تعريف المنحى الوظيفي في الدراسة اللغوية وفرزه عن المنحى السوري، أن أهم مبادئ المنحى الوظيفي على الإطلاق هو ما له صلة بعلاقة أدائية اللغة وبنيتها بعلاقة وظيفة التواصل بالنسق اللغوي.<sup>2</sup>

أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية ص 54<sup>1</sup>

المرجع نفسه ، ص 55<sup>2</sup>

8 - الأدواتية وتطور اللغة: إذا ثبت لدينا أن وظيفة التواصل تتحكم في قسط وافر في بنية اللغة تزامنياً، يصبح من المنطقي أن نتوقع أنها تسهم أيضاً في تطورها وقد بينا في مكان آخر أن بنية اللغات تنزع على الشفافية وأن هذا النزوع هو الأصل لأنه يخدم التواصل ونجاحه<sup>1</sup>

وتكمن الشفافية في الفصل الصرفي، التركيب بين المجال العلاقي (التداولي) والمجال التمثيلي (الدلالي) قد يطرأ على بنية اللغة عبر تطورها ما يفقدها شفافية بنيتها أو بعضاً من هذه الشفافية، فيمحي الفصل بين المستويين العلاقي والتمثيلي إلا أنها سرعان ما تبدأ في السعي إلى استعادة شفافتها المفقودة تحاشياً للتقسيم المخل بالتواصل.

9- الأدواتية والكلية اللغوية: لكل نمط من اللغات خصائصه التي ينفرد بها وتميزه عن غيره من الأنماط وتتطلب أن يوضع لكل نمط نحوه الخاص، إلا أن للسان الطبيعي

خصائص عامة تتقاسمها اللغات من اختلاف أنماطها وهو ما يسمى الكليات اللغوية. إذا كانت الكليات اللغوية في النظريات اللسانية ذات المنحى الصوري كليات صرفية، تركيبية ودلالية، فإنها تجمع هذه النظريات اللسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة، بين بنى معينة وما تسخره هذه البنى لتأدية أغراض تواصلية بتعبير أدق، يمكن القول إن ما يجمع بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات تختلف في التراكيب، التي يتوسل بها في تحقيق هذه الوظائف. مثال ذلك أن تصحيح المعلومات الذي مر بنا هو وظيفة من الوظائف الكلية وهي تتحقق حسب أنماط اللغات إما عن طريق الرتبة وإما عن طريق صرفات معينة أو عن طريق تراكيب مخصوصة الفصل" أو شبه الفصل مثلاً".

10- الأدواتية واكتساب اللغة: يفطر الطفل، باعتباره كائناً، بشرياً على مجموعة من المبادئ العامة، ما وهي يسمى الكليات اللغوية تمكنه بمعونة محيطه من اكتساب لغة معينة، لغة العشيرة التي ينمو فيها.<sup>2</sup>

المرجع نفسه ، ص 56 .<sup>1</sup>

<sup>2</sup> احمد المتوكل: مراجعات شهادات تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مرجع سابق ، ص 30-33.

## 3-2- ملخص نظرية النحو الوظيفي:

انطلاقاً من جهازها الواصف يمكن أن نميز بين مرحلتين مرت بها نظرية النحو الوظيفي هما: نموذج الجملة الذي ظهر للوجود سنة 1978 من خلال كتاب سيمون ديك الموسوم بالنحو الوظيفي fonctionnal grammar وتبع هذا الكتاب أبحاث ومؤلفات أخرى، حيث كلها في إطار نحو الجملة إلى نهاية سنة 1988.

ونموذج النص الذي بدأ سنة 1989 بكتاب ديك الموسوم بنظرية النحو الوظيفي the theory of fonctional grammar رسم فيه المؤلف معالم نموذج نحو جديد، اتبعه مع فريق من الباحثين منهم أحمد المتوكل، بدراسات وأبحاث لا تزال إلى اليوم، تدقق مفاهيم هذا النموذج وتوسعه، في إطار جديد تجاوز نطاق نحو الجملة إلى نحو النص.

وقبل إعطاء ملخص موجز للجهاز الواصف لهذين النموذجين ونعرض بإيجاز المبادئ الأساسية التي تقوم عليها هذه النظرية سواء في نموذجها الأول أم الثاني وهي:

أ- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية، هي وظيفة التواصل وهذا يضمن أن بنية اللسان الطبيعي الصوري ترتبط ارتباطاً طبيعياً بهذه الوظيفة الأساسية. ويترتب على ذلك أن موضوع النحو الوظيفي هو وصف القدرة التواصلية compétence communication للمتكلم / المستمع وتفسيرها.

ب - تعتبر الوظائف الدلالية والتركييبية والتداولية ووظائف أولى primitive ووظائف مشتقة. ت-تحقيق الكفاية التداولية l'adéquation pragmatique تدرج نظرية النحو الوظيفي في زمرة الأنحاء المؤسسة تداولياً، فهي تستفيد من الدراسات التداولية الحديثة التي تناولت مفاهيم نظرية الأفعال اللغوية، والقوة الانجازية والاقتضاء والإحالة ... كما تفيد من نظرية الاتصال والإخبار ولسانيات النص أو الخطاب.

ث- تحقيق الكفاية النفسية l'adéquation psychologique: تفيد نظرية النحو الوظيفي من نتائج أبحاث علم النفس بصفة عامة، وعلم اللغة النفسي psycholinguistique بصفة خاصة فهي تتابع تطوراتها وتتطابق مع نماذجها سواء تعلق الأمر بنماذج الإنتاج أو نماذج الفهم والإدراك ولذا أبعدت هذه النظرية من جهازها الواصف التحويلات المعتمدة في النظرية التوليدية التحويلية لأنها غير مطابقة للواقعية النفسية.<sup>1</sup>

المرجع نفسه ، ص 34<sup>1</sup>

ج- تحقيق الكفاية النمطية، l'adéquation typologique: يتمثل هذا المبدأ في أن نموذج نظرية النحو الوظيفي ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية ذات البنى اللغوية المتباينة، وعليه فهي تستجيب لما أصبح معروفاً بمبدأ العولمة Universalisme<sup>1</sup>.

### 1-3-2- نموذج الجملة: (1978 - 1988)

لما كان نحو النموذج الأول نحو جملة، فإن الجملة فيه تشتق عبر ثلاث بنى أساسية: هي الجملة والبنية الوظيفية والبنية المكونة حيث يمثل في كل بنية لجملة من الخصائص والقواعد:

#### 1- البنية الجمالية<sup>2</sup>

وتتكون من بنيتين متحدتين هما بنية الجمل وبنية الدلالة.

يمثل في بنية الجمل المحمول الجملة وحدوده التي يفرضها ويمثل في بنية الدلالة لدلالة محمول الجملة وللوظائف الدلالية للحدود التي يفرضها.

فمحمول الجملة الذي يسمى تركيباً على مقولة الفعل أو الاسم أو الصفة أو الظرف يدل على واقعة تصنف في نظرية النحو الوظيفي إلى حقل الأعمال (action) أو الأحداث processus أو الأوضاع أو الحالات

أو الحدود فتدل على المشاركين في تحقيق الواقعة، وهي بالنظر إلى أهميتها في تحقيق الواقعة، قد تكون موضوعات أساسية كالذات المنفذة والذات المتقبلة أو المستقبلية، وقد تكون الحدود غير أساسية (لواحق)، يقتصر دورها على الإشارة للظروف والملابسات التي أحاطت بالواقعة كأن تدل على زمانها أو مكانها أو علتها.

<sup>1</sup> المجلس الأعلى للغة العربية : ندوة تيسير النحو المجلس الأعلى للغة العربية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2001ص 120.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة الوظيفي دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء ط1 1986 ص26.

**2- البنية الوظيفية:**

ويمثل فيها لبنيتين مثلا زمنين هما:

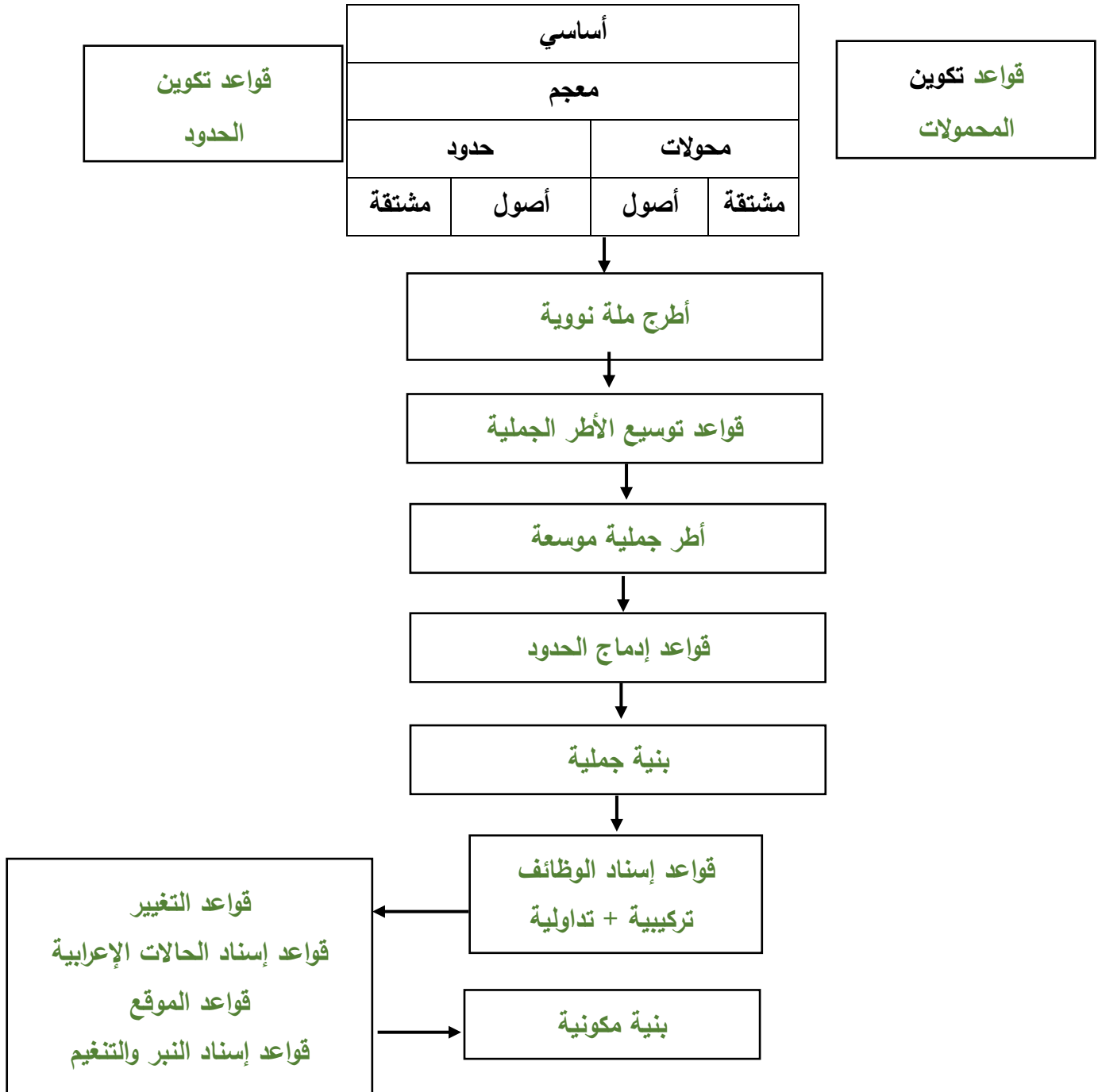
**البنية التركيبية:** ويتم فيها إسناد وظيفي الفاعل والمفعول فقط ونبرز هذا التقليل للوظائف التركيبية بأن ثمة فرقا بين البنية الدلالية للجملة وبنيتها التركيبية بأن ثمة فرقا بين البنية الدلالية للجملة وتركيبها بحيث لا ضرورة بأن تتضمن البنية الثانية جميع عناصر البنية الأولى.

**البنية التداولية:** وتسد فيها الجملة من الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة وبالنظر إلى المعلومات الإخبارية التي تحملها هذه المكونات أثناء تفاعلها مع معطيات السياق، بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية والحضارية والنفسية واللغوية والمكانية والزمانية.

**3- البنية المكونية:**

تسد فيها جملة من القواعد يسمى قواعد التعبير كقواعد الإعراب الخاصة بإسناد الحالات الإعرابية وقواعد البنية الموقعية التي ترصد ترتيب مكونات الجملة وقواعد إسناد النبر والتنغيم ويمكن توضيح الجهاز الواصف لنحو الجملة بالرسم الموالي:<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد المتوكل : دراسات، نحو اللغة العربية الوظيفية، ص32.





يتضح من هذا الرسم أن هناك ثلاثة أنساق من القواعد هي: قواعد الأساس وقواعد الوظائف وقواعد التعبير، فالأساس هو عبارة عن خزان المفردات، يمد باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق وهو مدخل معجمي (أصل ومشتق) ممثل له في شكل إطار محمولي، يرصد توزيع محلات محمول المفردة الأساس، وخصائصها الدلالية.

وينقل هذا الإطار المحمولي إلى بنية عملية تامة، التحديد، بإجراءات توسيعية إذا تطلب الأمر ذلك، بإضافة الحدود للواحد، ومخصصات السمات الجهوية والزمانية للمحمول. هذه البنية تتخذ دخلا لقواعد إسناد الوظائف فتحدد الوظائف التركيبية الفاعل والمفعول) ثم الوظائف التداولية (المحور والبؤرة)، فنتج بالتالي البنية الوظيفية وفيها تتوافر المعلومات الدلالية والتركيبية والتداولية التي تستلزمها قواعد النسق الثالث، أي قواعد التعبير التي تحقق من خلالها البنية المكونية حيث تحقق فيها عناصر البنية التي تشمل على القواعد الصرفية وقواعد إسناد الحالات الإعرابية وقواعد إدماج المعلمات من جهة وقواعد تحديد رتبة مكونات الجملة، أي قواعد الموقعة من جهة أخرى، فيكون ناتج ذلك بنية تتوفر فيها المعلومات اللازمة التي تتخذ دخلا للقواعد الصوتية التي يتم بواسطتها التأويل الصوتي المناسب.<sup>1</sup>

### 2-3-2- ملخص النموذج الثاني 1989:

تمكن المهتمون بنظرية النحو الوظيفي وعلى رأسهم سيمون ديك، بفضل دراسات معجمية تركيبية دلالية، تداولية في لغات متباينة من إغناء النظرية وتطويرها فصيغت صياغة جديدة سنة 1989، رسم معالمها كتاب ديك المرسوم بنظرية النحو الوظيفي *the theory of functional grammar* فأصبح الجهاز الواصف لنحو النموذج مكونا من ست قوالب، يوضحها الرسم المالي:

<sup>1</sup> أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 140.



يتضح من خلال هذا الرسم أن القلب النحوي يحتل المركز فهو بمثابة القلب النابض الذي يغذي كال القوالب، فتتفاعل فيما بينها لتضطلع بوصف وتفسير القدرة التواصلية لمستعمل اللغة الطبيعية التي توسعت في هذا النموذج إلى ست ملكات تقابل كل ملكة القلب المناسب لها كآلاتي:

- **الملكة اللغوية:** يتمكن من خلالها مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل عبارات لغوية، ذات بنايات متنوعة ومعقدة في عدد كبير من المواقع التواصلية المختلفة وهي تقابل القلب النحوي.

- **الملكة الاجتماعية:** تمكن هذه الملكة مستعمل اللغة من مطابقة أقوالها من الأعراف والعادات الكلامية في المجتمع، بحيث يعرف كيف يحقق أهدافا تواصلية مع مختلف المخاطبين، وتقابل القلب الاجتماعي.

- **الملكة العرفية:** وتتمثل في الرصيد المعرفي المنظم، الذي يكتسي مستعمل اللغة من خلال اشتقاقه معارف من العبارات اللغوية، يخزنها ويستحضرها في الوقت المناسب، ليؤول بها العبارات اللغوية وهي تقابل القلب المعرفي.

- **الملكة المنطقية:** يتمكن من خلالها مستعمل اللغة من اشتقاق معارف مختلفة انطلاقا من مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي، وتقابل القلب المنطقي.

- **الملكة الإدراكية:** تمكن مستعمل اللغة من إدراك محيطه لينشق من معارف يستثمرها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها وتفتتن هذه الملكة بالقلب الإدراكي.

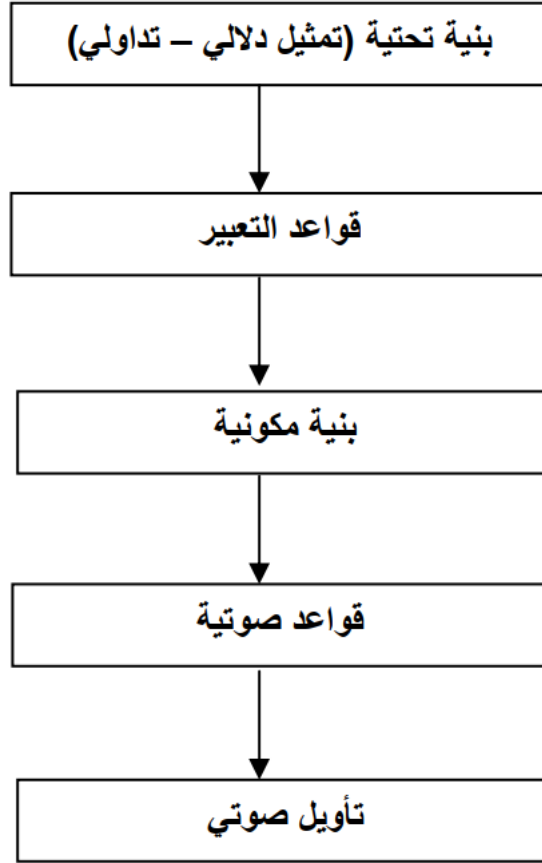
- الملكة الشعرية: وهي تلك الملكة التي تمكن فئة المبدعين بصفة خاصة من إنتاج الأثر الفني، وق  
اقترح أفراد قالب خاص بها أي القالب الشعري يحوي القواعد والمبادئ التي يتفاعل بها مع القوالب  
الأخرى ليصف ال ثار الفنية ويفسرها.<sup>1</sup>

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القوالب ليست متساوية من حيث الأهمية فثمة حالات تستدعي اشتغال  
القوالب كلها، كحال تحليل الظواهر الفنية وتفسيرها وهناك حالات تستدعي اشتغال بعضها فقط، كما  
هو الشأن في التواصل العادي.

وفي الأخير نشير إلى أن النموذج الثاني يختلف عن الأول من جهتين: جهة توسيع مكونات القدرة  
التواصلية التي أصبحت عدة ملكات تضطلع بتمثيلها عدة قوالب، وجهة تقليص مكونات القالب  
النحوي الذي أدمجت فيه البنية الحلمية والبنية الوظيفية في بنية تحتية واحدة وبهذا أصبح التنظيم  
الجديد لهذا القالب كالرسم الموالي:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المجلس الأعلى للغة العربية ندوة أعمال تيسير النحو المنعقدة في 23-24 أبريل 2001 مقال: الأستاذ يحي  
بعطيش ص128-130.

المرجع نفسه ، ص : 132 <sup>2</sup>



تتكيف بنسبة هذا القالب النحوي مع طبيعة كل قالب من القوالب السياقية، لأن عملية التواصل بين مستعملي اللغات الطبيعية، عبر نصوص أو نص يتكون في الغالب من جملة ومكونات خارجية كالمبتدأ أو المنادى والذيل، وتتكون الجملة عادة من ثلاثة حمول: حمل نووي، يدمج في حمل مركزي أو حمل موسع، ودمج هذا الحمل الموسع كله، في إطار القضية التي تدمج في إطار القوة الانجازية، ويتم الانتقال من مستوى إلى المستوى الذي يعلو عن طريق إضافة مخصص ولاحق أو مجموعة من اللواحق إلى عنصر نواة فيكون ناتج ذلك بنية عامة.<sup>1</sup>

### 3-3-2- الخصائص البنيوية والتداولية العامة:<sup>2</sup>

في الأخير هذا تلخيص الخصائص البنيوية والتداولية العامة في نظرية النحو الوظيفي، ونجملها في الآتي:

<sup>1</sup> المجلس الأعلى للغة العربية: أعمال تيسير النحو، ص 133.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 150.

- 1- **الجملة البسيطة:** وهي الجملة المكونة من حمل واحد قد تتخلله مكونات خارجية تضاف اختياراً على يمين الجملة أو يسارها وأهم أنماطها هي:
- أ- **جملة المبتدأ:** وتتضمن حملاً واحداً يتقدمه مكون مبتدأ، أي مكون خارج عن حمل الجملة، مثل: الكتاب، قرأته البارحة.
- ب- **جملة الذيل:** والجملة مكونة من حمل واحد، يعقبه مكون خارج عن حمل الجملة، هو الذيل، مثل: زرت البارحة، معرض الكتاب.
- ت- **جملة المحور:** وهي الجملة التي يخلو حملها من الارتباط بمكونات خارجية عن حملها، مثل: العلم نور، أو يتصدرها محور، مثل: الكتاب (بالنصب) قرأته البارحة، أو بؤرة مقابلة. مثل: رواية قرأت لا قصيدة.
- ث- **جملة النداء:** وتتكون من حمل واحد، يتقدمه أو يتوسطه أو يكون في آخره مكون منادى. ونمثل لها على التوالي: يا طلاب العلم.
- ج - **الجملة المركبة:** وهي كل جملة تتضمن أكثر من حمل واحد، مثل: انتهيت اليوم من قراءة الكتاب الذي استعرت منه. وحسب هذا التحديد تكون صياغة الجملة البسيطة هي ج (حمل) والملة المركبة هي ج (حمل1) حمل (2) (حمل ن)).
- ح- **الجملة الفعلية:** وهي جملة ذات محمول فعلي، ولا يعتد بالسم الذي يسبق محمولها مهما كانت وظيفته.
- خ - **الجملة الاسمية:** وهي جملة ذات محمول غير فعلي أي جملة يكون محمولها مركباً اسماً أو وصفاً أو حرفياً أو ظرفياً.<sup>1</sup>
- 2- **خصائص تداولية:**<sup>2</sup>

تتعلق بربط الجملة بالسياقات والمقامات التي ترد فيها، لتؤدي أغراضاً تبليغية مختلفة وأهمها:

<sup>1</sup> المجلس الأعلى للغة العربية: أعمال تيسير النحو، ص 132.

<sup>2</sup> احمد المتوكل اللسانيات الوظيفية ، ص 65 .

الوظائف التداولية:

أ- المحور: تسند وظيفة المحور إلى المكون الذي يشكل مجال الحديث، داخل الحمل، أو المحدث عنه داخل الحمل.

ب- بالبؤرة: وتسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية والأكثر بروزا في الجملة، وهي نوعان: بؤرة جديدة، وهي التي تسند إليها المكون الحامل للمعلومة الجديدة التي يجعلها المخاطب، بؤرة مقابلة وتسند إلى المكون الحامل للمعلومة المتعادل في ورودها كأن يشك المخاطب في ورودها أو يؤكدها أو ينكرها.

ت- المبتدأ: وهو المكون الدال على ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا، أي يكون المبتدأ خارج الحمل بحلاف المحور الذي يكون داخله.

ث - المنادى: هي المكون الدال على ما يشكل محط النداء في مقام معين.

- القوة الإنجازية:

تشمل دلالة جمل اللغات الطبيعية، زيادة على مجموع معاني، مكوناتها، ما يعرف بالقوة الانجازية force illocutionnaire وهي إما أن تكون إنجازا لخبر أو أمر، استفهام أو وعد... وهي صنفان:

أ- قوة الجازية حرفية مدلول عليها بصيغة الجملة (خبر، أمر، استفهام، تعجيم) وهي ما تعرف في نظرية الأفعال اللغوية عند سيرل Searle بالفعل اللغوي المباشر.

بقوة إلزامية مستلزمة لا تعرف من صيغة الجملة الحرفية وإنما يستدل عليها من مقامها، وهي ما تعرف بالفعل غير المباشر.<sup>1</sup>

4-2- نظرية النحو الوظيفي والدرس العربي المعاصر:<sup>2</sup>

واكب الاعتناء النظري الذي عرفته نظرية النحو الوظيفي توسع جغرافي حيث انتقلت النظرية من مسقط رأسها أمستردام إلى أقطار أخرى فتكونت مجموعات بحث وظيفية في أنتويرب (بلجيكا) ومدريد والرباط ولندن والدانمارك، وفي موازاة ذلك دعي الباحثون الوظيفيون إلى المشاركة في محافل دولية

<sup>1</sup>المجلس الأعلى للغة العربية: أعمال تيسير النحو، ص 133.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 134.

أوروبية وأمريكية إلى جانب الباحثين من مشارب أخرى توليدية تحويلية وعلاقية وحاسوبية وغيرها للمقارنة وبين مقاربات مختلفة لظواهر لغوية مركزية.

في هذا السياق دعي المغرب إلى الإسهام بمدخل عن النحو الوظيفي واللغة العربية وفي إعداد الجزء الثاني من موسوعة اللغة العربية واللسانية العربية.

وظلت نظرية النحو الوظيفي تكتسب المزيد من الانتشار إلى جانب المزيد من الاغتناء المعرفي بفضل الندوات الدولية التي تعقد كل سنتين منذ اثنين وعشرين سنة (أمستردام 1984)، (أنتويرب 1986، (أمستردام 1988)، (الدانمارك 1990)، (أنتويرب 1992)، (بورك 1994 قرطبة 1996)، (أمستردام 1998) المحمدية 1999)، (مدريد 2000)، (بني ملال 1991)، (أمستردام 2002)، (أغادير 2003 فيفون 2004)، (وسان باولو في البرازيل 2006).<sup>1</sup>

وقد دخلت هذه النظرية الوطن العربي أو مرة عبر جامعة محمد الخامس في الرباط حيث شكلت مجموعة عن البحث في التداوليات واللسانيات الوظيفية، وبفضل جهود الباحثين المغاربة المنتمين إلى هذه المجموعة تسنى للمعنى الوظيفي أن يأخذ محله في البحث اللساني المغربي والعربي إلى جانب مكوناته الأخرى، وقد تم ذلك عبر أربع طرق رئيسية هي: التدريس والبحث الأكاديمي والنشر، وعقد ندوات دولية وكان المغرب جسرا لعبور النحو الوظيفي إلى أقطار عربية أخرى، حيث منه وبفضل المؤلفات والبحوث المع=غربية دخل الجزائر وتونس وموريتانيا والعراق وسوريا وبعض بلدان الخليج، كالإمارات العربية والعربية السعودية وبدرجات متفاوتة في التبني ورقعة الانتشار.

## 6-2- المنحنى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية:<sup>2</sup>

سعى النحو الوظيفي إلى مد الجسور بينه وبين الفكر اللغوي القديم، نحوا وبلاغة وتفسيرا وأصول فقه وهذا ما أتاح له أن يأخذ مكانته بين اتجاهات البحث اللساني العربية الأخرى: التراثية والتوليدية والاجتماعية، ...

إن المنحنى الوظيفي في البحث اللساني العربي مشروع ذو شقين متلاومين تلازم تزامن وتكامل فالإ جانب دراسة ظواهر اللغة العربية ومحاولة تفسيرها من منظور وظيفي، سعى الباحثون الوظيفيون

<sup>1</sup> احمد المتوكل آفاق اللسانيات ، ص 20.

المرجع نفسه ، ص 21 <sup>2</sup>

المغاربة (المتوكل 1977)، 1981 1982، 1989، الزهري 1998، إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي نحواً وبلاغة وأصول فقه وتفسيراً.

المنطبق في المنهجية المقترحة لقراءة التراث اللغوي العربي هو أن المفاهيم المعتمدة في علوم اللغة العربية تنزع إلى التوحيد وإن تعددت هذه العلوم، والتي تشكل إطار نظري يخلف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حد سواء.<sup>1</sup>

تطمح هذه المنهجية التي اعتمدها هؤلاء الدارسين إلى تمكين قارئ التراث من تلاقي منزلقين: منزلق القطيعة، ومنزلق الإسقاط.

المقصود بعلوم اللغة العربية الدراسات اللغوية الواردة في الفكر اللغوي العربي القديم وأهم هذه الدراسات: الدراسات المعجمية والدراسات التي نجدها في كتب النحو والبلاغة وأصول الفقه وفقه اللغة والتفسير. لكل من هذه العلوم مادته التي تخصه كما له أدواته ومصطلحاته، لكن لا يوجد مع ذلك فصل فاصل، إذ أن ثمة على مستوى معين من التجريد جوامع توجد بينها نذكر منها:<sup>2</sup>

- تستهدف هذه العلوم مع اختلافها فهم نص القرآن الكريم، ودراسته واستخراج الأحكام الدينية من اعتباره أهم أدلة التشريع.

- تنزع المفاهيم الأساسية إلى الانتقال من علم إلى آخر مثال: مفاهيم الاختصاص والتخصص، التقديم والتأخير، التي نجدها في كتب النحو والبلاغة والتفسير

- قد تختلف المصطلحات من علم إلى علم، وفي المفهوم الواحد، ومن أمثلة ذلك المصطلح النحوي "خروج أسلوب إلى أسلوب والثنائية البلاغية الغرض الأصلي والغرض الفرعي والثنائية الأصولية المنطوق والمكتوم التي تحيل إلى ظاهرة الانتقال بمعونة المقام من معنى حرفي إلى معنى ضمني.

المجلس الأعلى للغة العربية: أعمال تيسير النحو، ص 133.<sup>1</sup>

المرجع نفسه، ص 135.<sup>2</sup>



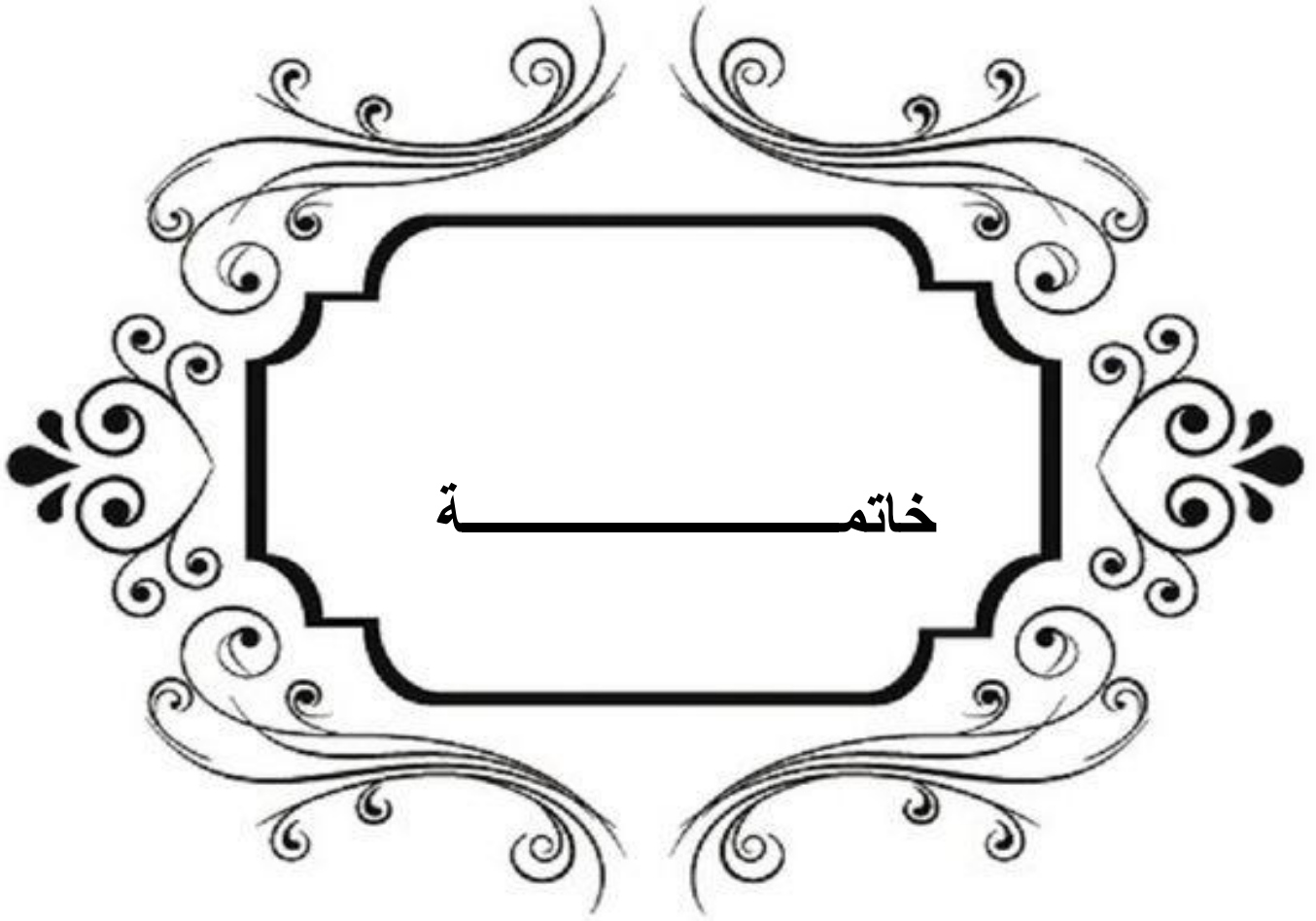
إن تضافر هذه الجوامع وغيرها يحتمان على قارئ التراث أن يتناول علوم اللغة العربية لا على أساس أنها علوم مستقلة بل على أنها مكونات المقاربة واحدة للخطاب، تستمد مفاهيمها ومنهجها من جهاز نظري واحد عنيت كتب اللغة على الخصوص برصيده وتباينه.<sup>1</sup>

وجدير بالإشارة أن هذه المقاربة لعلوم اللغة العربية، باعتبارها مكونات لجهاز نظري واحد واردة عن المفكرين اللغويين العرب القدماء أنفسهم حيث يشكل قوام "نظرية النظم للجرجاني" ونظرية الأدب الكلاسيكي.<sup>2</sup>

ومن هنا يمكننا أن نشير إلى أنه منذ اشتغال لغويين عرب مثل أحمد المتوكل وبعض زملائه بنظرية النحو الوظيفي لم يتوقفوا عن إقامة حوار مثنى بينها وبين تراثنا العربي حوار يسوغه ويبسره التكرس بينهما من حيث المفاهيم والمنطلقات المنهجية ولهذا الحوار أمثلة كثيرة فيما كتب خلال مسيرة وضع نحو وظيفي للغة الغربية.

المجلس الأعلى للغة العربية: أعمال تيسير النحو، ص 137<sup>1</sup>

المرجع نفسه ، ص 140 .<sup>2</sup>



## خاتمة

على وجه الإجمال ما يمكننا قوله عن اللسانيات الوظيفية، أولاً أنه كان لظهورها لثروة معرفية ليس كغيرها من العلوم وخاصة في تاريخ اللسانيات البنوية إذ تعد من أهم ثمارها والنتائج التي جاءت لها.

- جاءت اللسانيات الوظيفية للعناية باللغة واستخدامها في الحيز الاستعمالي والعناية كذلك بالقيمة الاتصالية، في كونها أداة تؤدي عدة وظائف ومهام تقع عليها عملية الاتصال.

- التركيز على الوظيفية للغة وخاصة الاستعمال الاجتماعي تميزت هذه اللسانيات بالوظيفية التي أعطت اللغة أهمية أكثر وخاصة بعدم فصلها عن محيطها الاجتماعي ونسيجها اللغوي ومن هنا:

- إن مبادئ اللسانيات الوظيفية جعلت من اللغة أكثر ممارسة.

- تميزت مبادئ اللسانيات الوظيفية في تعليم اللغة عامة والعربية خاصة، يجعلها أكثر قوة وأكثر فعالية وأكثر حيوية.

- تسعى هذه المبادئ إلى ضرورة عدم الفصل بين البني اللغوية ووظائفها أي دراسة اللغة من خلال الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لا عزلها عن السياقات اللغوية.

- لقد جعلت مبادئ اللسانيات الوظيفية من مفهوم الوظيفية أساساً لها، وذلك يجعل كل عنصر العناصر اللغوية له وظيفة للتبليغ وأداء المهام.

- استفادت اللغة العربية من التدريس عن طريق اللسانيات الوظيفية في استثمار قواعدها أو مبادئها في تعليمها وتمثل ذلك الاستثمار عموماً في ضرورة إتقان المهارات اللغوية وحسن استعمالها.

- يعد الجانب الوظيفي الاتجاه المناسب في تعليمية اللغة العربية في كونه المحال الوحيد الذي يسعى إلى جعل اللغة أكثر استعمالاً وتواصلاً من خلال إتقان قواعدها، وممارسة مهاراتها.

- أن تشخيصنا لواقع البحث اللساني العربي أفضى بنا إلى الكشف عن مظاهر سلب حالت بين اللسانيات العربية وتحقيق ما كان معقوداً عليها من آمال.

- غياب الإعداد الجيد للباحث بوقوف معارفه وخبراته عند حدود ما صنف بالعربية وما ترجم عليها من غير اتصال مباشر لمصادر المعرفة اللسانية الإنسانية.
- كثير من المصنفات اللسانية في العربية من نتاج ما بعد الجيل الرائد الأول خاصة كانت تأليفاً أشبه بالترجمة أو ترجمة أسبه بالتأليف.
- وجود قطيعة راسخة بين المشتغلين بعلم اللسان في أقسام اللغة العربية وأقسام اللغات الأجنبية في جامعات العرب.
- أثرت سلبيات واقع البحث اللساني العربي ثمرتها في معالجة اللسانيات العربية المعاصرة لكثير من قضايا التراث فوجدنا منها دراسات مستسلمة للتراث وأخرى مسالمة له.
- لم تثبت جدوى اللسانيات المعاصرة في التصدي للمشروعات اللسانية القومية الكبرى.
- تسعى اللسانيات العربية المعاصرة سعياً لاهتاً لاستيعاب المنجز اللساني العالمي وإثبات جدها في تحقيق الأهداف وحل المشكلات.
- وعليه فإن النظريات الحديثة ومن بينها اللسانيات الوظيفية قد ساهمت بشكل واضح واقعي في الدفع بالدراسات اللغوية العربية إلى تعلم ناجح وأكثر فعالية.
- وفي الختام نرجو أن نكون قد كشفنا الغطاء على هذه الدراسة، وأن نكون قد استفدنا وأفدنا ولو بالشيء القليل.

## قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1956، المجلد 09.
2. إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، القاهرة 2014.
3. أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط2، 2010.
4. أحمد المتوكّل: الخطاب المتوسط، مقارنة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، دار الأمان الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، 1.
5. أحمد المتوكّل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
6. أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط2، 2010.
7. أحمد المتوكّل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003.
8. أحمد المتوكّل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان الرباط، ط1، 2013.
9. أحمد حسني: مباحث اللسانيات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1.
10. أحمد قدور: مبادئ في اللسانيات دار الفكر، دمشق، د.ط، 1999م.
11. أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1983.
12. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.
13. أن روبرول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، لمنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.
14. الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد إسلام محمد هارون مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1.
15. التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي، الجزائر، د.ط، 2008م.
16. جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، الصراع، والتطور، تر: نعيم كراعين، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.
17. جيفري لينش، مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.

18. ابن جني : الخصائص، تح محمد علي النّجار، عالم الكتّاب، القاهرة، ط3، 1983، ج1.
19. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات. دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.
20. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاکر، أبو فهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989.
21. سعد عبد العزيز مصلوح: في لسانيات العربية المعاصرة. عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2004م.
22. عبد الرحمن حاج صالح: بحوث ودراسات في لسانيات العربية. ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م.
23. عبد الرحمن حاج صالح: بحوث ودراسات في لسانيات العربية. ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م.
24. عبد السّلام عشير: تطوّر الفكر اللغوي من النّحو إلى اللسانيات إلى التّواصل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010.
25. عبد العزيز بنعيش: لسانيات التواصل الإنساني من العبارة إلى القصد، مطبعة إنفويرانت، فاس، ط 2، 2014.
26. عبد العلي الودغيري: كلمة مصطلح بين الصواب والخطأ، مجلة لسان العربي. ع48، ديسمبر 1994.
27. عبد المقصود محمد عبد المقصود: دراسة البنية الصرفي في ضوء اللسانيات والوصفية دار العربية للموسوعات القاهرة، ط1، 2006.
28. فيليب بلانشيه: التداولية من اوستن إلى غوفمان تر صابر الحباشة وعبد الرزاق الجماعي، عالم الكتب الحديث، إريد، ط 1، 2012.
29. سيبويه : الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1988، ج3، ج1.
30. محمد الحسن مليطان: نظريّة النّحو الوظيفي، الأسس، والنماذج، والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط 2، 2014.
- 31.نادية رمضان النّجار: الاتجاه التداولي، والوظيفي في الدّرس اللغوي، مؤسسة جورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2013.
32. نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة. جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009.

المجلات والمقالات:

33. هيثم محمد مصطفى: ملامح من النظرية الوظيفية (التواصلية) عند ابن جني في كتابه الخصائص، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 15.
34. يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويتية، المجلد العشرون العدد الثالث، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، 1989.
35. يوسف تغزاوي: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم بعض المبادئ المنهجية، أشغال ندوة المنحنى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، سلسلة الندوات جامعة مولاي إسماعيل، فاس، العدد 2009.

الرسائل الجامعية:

36. الطاهر شارف: المنحنى الوظيفي في تفسير التحرير، والتنوير، لابن عاشور، سورة البقرة نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.
37. عبد المجيد سالمى: مصطلحات اللسانيات في اللغة العربية بين الوضع والاستعمال، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2007م.
38. هدى بن عزيزة: علاقة البنية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي. مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 1007، 2008.
39. يحي بعبطيش: نحو نظرية وظيفية النحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
40. يحي بعبطيش: نحو نظرية وظيفية النحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، المدخل.





# فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر والتقدير

الاهداء

أ..... مقدمة

مدخل

1- مفهوم اللسانيات.....2

3- النشأة والتطور.....3

6- مصطلح اللسانيات الوظيفية.....6

2- اللسانيات العربية وتطورها.....8

أ- اللسانيات العربية:.....8

ب- النشأة والتطور:.....9

الفصل الأول: اللسانيات الوظيفية النظريات

المبحث الأول: اللسانيات الوظيفية.....14

1- تصنيف النظريات اللسانية إلى وظيفية وغير وظيفية.....14

1-2 المبادئ المنهجية لللسانيات الوظيفية.....17

2 - نشأة التيار اللساني الوظيفي وتطوره.....19

المبحث الثاني: النظريات اللسانية الوظيفية.....28

1. نظرية الوجهة الوظيفية:.....30

2 - النظرية النسقية:.....33

3. النظريات الوظيفية داخل الإطار التوليدي التحويلي:.....36

4. نظرية النحو الوظيفي:.....39

47.....5- وظيفية التراث اللغوي العربي:

48.....أ - وظيفية النحو العربي:

51.....ب. وظيفية البلاغة العربية

63.....خلاصة:

### الفصل الثاني: لسانيات الوظيفية في منظور اللساني العربي

65.....المبحث الأول: اللسانيات العربية

65.....1- المصطلح اللساني العربي

67.....المبحث الثاني: النحو الوظيفي واللغة العربية

67.....1- أهمية الوظيفة التواصلية في دراسة بنية اللغة:

68.....1-1- الفرق بين النظريات الوظيفية والغير الوظيفية:

71.....1-2- الوظيفة الأساسية للغة:

73.....2- النحو الوظيفي:

73.....1-2-1- النشأة والمنطلق:

73.....2-2- المبادئ والأهداف:

77.....2-3- ملخص نظرية النحو الوظيفي:

91.....خاتمة

94.....قائمة المراجع

.98.....فهرس المحتويات



### المخلص:

اللسانيات وظيفية هي النهج الذي تدرس اللغة من خلاله ويرى أن وظيفة اللغة وعناصرها هي المفتاح لفهم العمليات وبناء النصوص اللغوية. تقترح النظريات الوظيفية للغة أنه بما أن اللغة هي في الأساس أداة فمن المنطقي أن نفترض أن بناء النص يتم تحليله وفهمه بشكل أفضل بمعرفة الوظائف التي تقوم بها.

تتنتمي النظريات الوظيفية لقواعد اللغة إلى اللغويات البنوية والإنسانية وتأخذ في الاعتبار السياق العام حيث يتم استخدام العناصر اللغوية ودراسة الطريقة التي تكون مفيدة أو وظيفية بشكل فعال في بيئة معينة، وهذا يعني أن النظريات الوظيفية لقواعد اللغة تميل إلى التركيز على الطريقة التي يتم بها استخدام اللغة بالفعل في السياق التواصلية. يفترض أن العلاقات الأساسية بين العناصر اللغوية لها دوافع وظيفية.

**الكلمات المفتاحية:** اللسانيات العربية- اللسانيات الوظيفية- النظريات- اللغة العربية.

### Summary:

Functional linguistics is the approach by which language is studied and considers the function of language and its elements as the key to understanding the processes and construction of linguistic texts. Functional theories of language suggest that since language is essentially a tool, it is logical to assume that the best way to analyze and understand the structure of text is to know the functions it performs.

Functional theories of grammar belong to structural and humanistic linguistics and take into account the general context in which linguistic elements are used and study how they are actually useful or functional in a given environment. This means that functional theories of grammar tend to be concentrated on how language is actually used in the communicative context. Fundamental relationships between linguistic elements are assumed to have functional motivations.

**Key words:** Arabic linguistics - functional linguistics - theories - Arabic language.